دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 33، العدد 2، 2006

آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان
دراسة بلاغية

*نايل ممدوح أبو زيد**

ملخص

تعالج هذه الدراسة آيات صفات عباد الرحمن "دراسة بلاغية"؛ فبينت جمال النظم ودقته في التعبير عن هذه الصفات، حيث بدأ القرآن الحديث عن آيات صفات الإيجاب (التحلية) لعباد الرحمن، واتبعها بالحديث عن آيات صفات السلب (التخلية) التي ينبغي أن يجتنبها الموصوفون بالعبودية لله سبحانه، فوقفت من خلالها على دقة بلاغية وفصاحة بيانية في أعلى درجات البلاغة، الأمر الذي يسهم في الوقوف على جانب كبير من جوانب الإعجاز البياني في القرآن.

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: "وعِباد الرحمـٰن الذين يمشُون على الأرض هوناً وإذا خاطَبهم الجاهِلُون قالُواْ سلاماً. والذِين يبيتُون لِربهم سجداً وقياماً. والذِين يقُولُون ربنَا اصرفْ عنا عذاب جهنم إن عذَابها كان غَراماً. إنها ساءتْ مستقَراً ومقَاماً. والذِين إذَآ أَنفقُواْ لم يسرفُواْ ولم يقْتُرواْ وكان بين ذَلِك قَواماً. والذِين لا يدعون مع اللهِ إلـٰها آخَر ولا يقْتُلُون النفْس التِي حرم الله إلا بِالْحق ولا يزنُون ومن يفْعلْ ذَلِك يلْقَ أَثَاماً. يضاعفْ له العذَاب يوم القِيامةِ ويخْلُد فِيهِ مهاناً. إلا من تَاب وآمن وعمِلَ عملاً صالِحاً فَأُولـٰئِك يبدلُ الله سيئَاتِهِم حسنَاتٍ وكان الله غَفُوراً رحِيماً. ومن تَاب وعمِلَ صالِحاً فَإِنه يتُوب إِلَى اللهِ متاباً. والذِين لا يشْهدون الزور وإِذَا مرواْ بِاللغْوِ مروا كِراماً. والذِين إِذَا ذُكروا بِآياتِ ربهِم لَم يخِرواْ علَيها صماً وعمياناً. والذِين يقُولُون ربنَا هب لَنَا مِن أَزواجِنَا وذُرياتِنَا قُرةَ أَعينٍ واجعلْنَا لِلْمتقِين إِماماً. أُولـٰئِك يجزون الغُرفَةَ بِما صبرواْ ويلَقون فِيها تَحِيةً وسلاماً. خَالِدِين فِيها حسنَتْ مستَقَراً ومقَاماً. قُلْ ما يعبأُ بِكُم ربي لَولا دعآؤُكُم فَقَد كَذبتُم فَسوفَ يكُون لِزاماً" (سورة الفرقان /63-75).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين الذي جسد العبودية للرحمن على أكمل وجه، وأحسن مقام، فشرفه الله بإضافته لنفسه في مقام العبودية فقال سبحانه: "وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان" (الأنفال/41).

إن القرآن الكريم كتاب تميز بدقة بيانية، وصور بلاغية أعجزت الثقلين وعلى رأسهم أهل الفصاحة والبلاغة، فكان عجز من بعدهم من باب أولى، جاء يأمرنا بتحقيق العبادة للرحمن على أكمل وجه، وهي الغاية التي خلق الله من أجلها العباد، فقال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات /56).

وبين لنا الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من تشرف بالتقرب للرحمن بالعبادة والصفات التي ينبغي اجتنابها والتخلي عنها بأرقى صورة بيانية وأفصح لسان عربي مبين، الأمر الذي بعث في الرغبة لإجراء دراسة بلاغية للآيات التي جاءت تتحدث عن صفات هذه الصفوة من المتقين، وهي الآيات التي ختمت بها سورة الفرقان سواء أكانت صفاتهم المتعلقة بأنفسهم أم صفاتهم المتعلقة بحالهم مع الناس، أم صفاتهم المرتبطة بعلاقتهم مع خالقهم تبارك وتعالى، وما أحوج الإنسان إلى أن ينعم النظر بحقيقة هذه الصفات، فيتخلق بها ليلحق بهذا الركب الكريم.

وقد بحثت بقدر طاقتي وجهدي لأجد من أفرد هذا الموضوع ببحث يخص الجانب البلاغي فيه، فما وجدت سوى إشارات بلاغية موزعة في كتب التفسير ووجدت كتابا لعبد الرحمن الميداني موسوما بـ"صفات عباد الرحمن في القرآن: دراسة في طريق التفسير الموضوعي" ركزت

---

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن. تاريخ استلام البحث 2005/7/4، وتاريخ قبوله 2005/12/21.

© 2006 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الدراسة فيه على الجانب الموضوعي لهذه الصفات.

وكانت خطتي في هذا البحث على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية البحث وخطته.

التمهيد: وفيه سبب نزول الآيات وعلاقتها بالسياق في السورة.

المبحث الأول: آيات صفات الإيجاب (التحلية) لعباد الرحمن.

المبحث الثاني: الآيات التي جاءت تنفي صفات السلب (التخلية) عن عباد الرحمن.

الخاتمة: وفيها ما توصلت إليه من نتائج.

التمهيـد

أ. سبب نزول الآيات

نزلت آيات القرآن الكريم وسوره أحياناً لغير سبب معين لتنظيم حياة الناس وتوجيههم لما فيه الخير، وإرشادهم إلى كيفية أداء ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، وأحياناً نزلت لتتحدث عن واقعة أو حادثة معينة، ومعظم الآيات التي تتحدث عن صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان نزلت ابتداء سوى الآيات من الآية 68 إلى الآية 72 منها فقد جاءت الأحاديث تبين سبب نزولها وذلك على النحو التالي:

الأولى: ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «أن ناساً من أهل الشركِ كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتَوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إن الذي تقولُ وتَدعو إليه لَحسن، لو تُخبِرنا أن لما عملنا كفارةً. فنزل "والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخَر، ولا يقتلون النفْس التي حرم الله إلاّ بالحق، ولا يزنون"، ونزلَ "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمةِ الله"(1).

الثانية: ما روي عن عمرو بن شُرحبيلَ عن عبد اللّه قال: قَالَ رجلٌ: يا رسولَ اللّهِ أَي الذنْبِ أَكْبر عِنْد الله؟ قَالَ: «أَن تَدعو لله نِدا وهو خَلَقَك. قَالَ: ثُم أَي؟ قَالَ: أَن تَقْتُلَ ولَدك مخَافَةَ أَن يطْعم معك. قَالَ: ثُم أَي؟ قَالَ: أَن تُزانِي حلِيلَةَ جارك. فَأَنْزلَ الله عز وجل تَصدِيقَها: "والَذين لا يدعون مع الله إِلَها آخَر ولا يقْتُلُون النفْس الَتِي حرم الله إِلا بِالْحق ولا يزنُون ومن يفْعلْ ذَلك يلْقَ أَثَاما" (الفرقان/68)(2).

الثالثة: ما جاء في أن سبب نزول هذه الآيات قصة وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، فعن أبين بن سفيان عن عطاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل يا محمد، كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقى أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، وأنا قد صنعت ذلك، فهل تجد لي رخصة؟ فأنزل الله عز وجل "إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما"(3).

وأرى أن أقرب الروايات لأن تكون سببا للنزول هما الروايتان الأولى والثانية اللتان ذكرهما مسلم في صحيحه سببا للنزول، فتكون إحدى الحادثتين سببا للنزول، واتفق السؤال في الحادثة الأخرى قبل نزول الآيات متحدثة عنه.

أما الرواية الثالثة المتحدثة عن قصة إسلام وحشي في المعجم الكبير فهي أبعد الروايات عن أن تكون سببا للنزول لأن من رواتها أبين بن سفيان المقدسي، قال فيه الذهبي: ضعيف، وقال فيه الدارقطني: ضعيف له مناكير(4)، ثم إن الآيات مكية وإسلام وحشي جاء متأخراً عن ذلك.

ب. علاقة الآيات في السياق القرآني

إذا دققنا النظر في هذه الآيات من سورة الفرقان فإننا نجد أن لها ارتباطا وثيقا بما سبقها وما بعدها من آيات، فالقرآن الكريم آياته بعضها شديد الارتباط ببعض.

أولاً: صلتها بما سبق

ذكر أهل العلم في ارتباط الآيات بما سبقها وجوها؛ منها:

أنه سبحانه وتعالى لما ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين وصفاتهم وأضافهم إلى عبوديته تشريفا لهم(5).

وأنه بعد أن ذكر تجاهل المشركين واستنكارهم لاسم الرحمن أتبع ذلك بذكر عباد الرحمن الذين يعرفون الرحمن ويستحقون أن ينسبوا إليه، وأن يكونوا عباده بصفاتهم المميزة(6).

وأنه لما ذكر عباده الذين تسلط عليهم الشيطان فصاروا حزبه ولم يضفهم إلى اسم من أسمائه، إيذانا بإهانتهم وهوانهم عنده، ختم بمن تميز بالتذكر والشكر وهم عباده الذين

أخلصهم لنفسه(7).

وأنه بعد أن أمر رسوله أن يأمر الخلق بالسجود وبين موقف الكفار منه برفضهم السجود للرحمن، عرض لنا نموذجا لعباده المخلصين الذين يستأهلون البشارة بقوله "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا"(8).

ويمكن أن نضيف فنقول: إنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر البروج في السماء والسراج والقمر المنير، وهي سبل هداية وإنارة وإرشاد للناس، أتبعها بذكر صفات من يحملون النور الرباني الذين يضيئون الأرض بإيمانهم، ويهدون الخلق إلى الحق جل وعلا وهم مصابيح الهدى بما يرشدون إليه من نور.

ثانياً: صلتها بما بعدها

وأما صلة هذه الآيات بما بعدها- وهي آخر السورة- فقد جاءت على وجوه ذكرها أهل العلم؛ ومنها:

أنه بعد أن ذكر القرآن الكريم صفات عباد الرحمن تلك الخلاصة الصافية للبشرية، وعدد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، وشرح ثوابهم، بين ما عليه عباده من الدعاء الذي هو الخضوع والإخلاص، وختم السورة بهوان البشرية على الله لولا هؤلاء الذين يتطلعون إلى السماء، فأما المكذبون فالعذاب حتم عليهم ولزام(9).

وأنه سبحانه وتعالى لما أثبت لنفسه صفة الرحمة، وبين ما عليه عباده من الدعاء الذي هو الخضوع والإخلاص ختم أوصافهم الحسنة بالدعاء الدال على الإخلاص في الخضوع وذكر حسن جزائهم وكريم منقلبهم، وأمر النذير أن يقول لعباد الشيطان -الذين تكبروا عن السجود للرحمن وعن الاعتراف بالإيمان ليرجعوا عن العصيان-: إن ربه لا يعتد بمن لا يدعوه فمن ترك دعاءه فليرتقب العذاب الدائم؛ فقال: "قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم"(10).

ويمكن أن نضيف فنقول: إنه بعد أن ذكر الله صفات عباد الرحمن و بين من خلالها كثرة التجائهم إلى الله في الدعاء بالاستعاذة من النار وطلب جنة الأبرار وطلب الذرية الأخيار التي تقر بها العين وتطمئن بها النفس، أتبع ذلك ببيان فضل الدعاء وأهميته بقوله: "قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم" وذلك لما يترتب على الدعاء من تذلل لله وإظهار لحقيقة العبودية له.

المبحث الأول

آيات صفات الإيجاب(التحلية) لعباد الرحمن

ختمت سورة الفرقان بهذه الآيات التي تبين صفات هذه الصفوة فميزت بذلك أهل الحق الذين استحقوا النجاة والفوز بالجنات عن أهل الباطل؛ فبدأت الآيات بصفات الإيجاب- الصفات التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها- في قوله تعالى: "وعِباد الرحمـٰن الذين يمشُون علىٰ الأرضِ هوناً وإذَا خَاطَبهم الجاهِلُون قَالُواْ سلاَماً "(الفرقان/63)؛ إذ أخبر القرآن عن صفات الذين تشرفوا بالخضوع للرحمن والاستجابة والتذلل له مسبوقة بحرف الاستئناف (الواو)، ويصح أن تكون (الواو) حرف عطف، وهذا العطف يلاحظ فيه أن ما جاء قبله يتضمن دعوة الناس إلى أن يكونوا من المتقين؛ فإذا التزموا بما جاء بعد الواو من صفات دخلوا في زمرة عباد الرحمن وهم صفوة المتقين.

ويبدأ القرآن بصفة العبودية "فدل ذلك على أن هذه الصفة من أشرف صفات المخلوقات"(11).

يرى أبو حيان أن لفظ العباد في قوله تعالى "وعباد الرحمن؛ العباد: مفرده عبد والأصل في العبد أنه الإنسان المملوك وهو خلاف الحر"(12) ومثله عبد الرحمن حبنكة بقوله "ولما كان الناس جميعا مملوكين لربهم كانوا جميعا عبادا له"(13).

ويرى ابن عطية أنه آثر التعبير بالعباد دون العبيد لأن لفظ العباد يستعمل في مواضع التنويه، وقد سمي قوم من عبد القيس العباد لأن كسرى ملكهم دون العرب(14).

ويقول الراغب الأصفهاني: "العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية الخضوع والتذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى"(15).

ويرى الألوسي: "أن العبادة فعل المأمورات وترك المنهيات رجاء الثواب والنجاة من العقاب، والعبودية فعل المأمورات وترك المنهيات لا لما ذكر بل لمجرد إحسان الله تعالى"(16).

وبعد تدقيق النظر في المعاني اللغوية للفظة العباد أرجح قول من قال إن العباد جمع عابد، والعبيد جمع عبد(17)، فالناس كلهم عبيد لله، المؤمن والكافر على السواء، لكن

المؤمن يستحق أن يكون من عباد الله لكونه من أهل الطاعة والاستجابة ولذا سمي الملائكة "عبادا مكرمين"، ومن خلال استقراء استعمال القرآن الكريم للفظة العباد لا نجد ما يخالف ما ذكره الألوسي فيها إلا آية واحدة في قوله تعالى: "أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء"(الفرقان/17) حيث سمى الله الضالين عباداً، مع أنهم لم يعبدوه، وعلة ذلك أن يوم القيامة لا اختيار فيه لأحد، فالجميع يوم القيامة عباد؛ إذ انتفى الاختيار(18). ومن هنا كانت الإضافة للعباد دون العبيد، وهذا الذي ذكره الألوسي والشعراوي وهو كما نلاحظ أكثر دقة مما ذهب إليه أبو حيان وحبنكة من أن العباد مفردها عبد.

وفي إضافة العباد للرحمن تشريف وتكريم لهم(19) وقد نسبهم الله إليه لاصطفائه إياهم(20)؛ إذ قوة العبد من قوة سيده وقوة المؤمن بعبادته لله.

وخصت الإضافة لاسم الرحمن دون غيره من أسماء الله تعالى في هذا الموضع للإشارة إلى أن حظهم الأوفر من أسماء الله الحسنى هو من اسمه الرحمن(21). فاستحقوا رحمته بعبادته، وفيه أيضا تعريض بالكفار، المنكرين لهذا الاسم، الذين كانوا يقولون: ما الرحمن؟(22).

والرحمن اسم من أسماء الله الحسنى، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الرحمن اسم مشتق من الرحمة ومعناه "ذو الرحمة" الذي لا نظير له فيها، وذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق(23).

ويشير القرآن إلى صفة التواضع التي تحلى بها عباد الرحمن في قوله (الذين يمشون على الأرض هونا)، والمشي: انتقال من مكان إلى مكان عن إرادة(24) وهذا الانتقال في الأرض يستدعي معاشرة الناس ومخالطتهم(25).

وفي التعبير بالمضارع (يمشون) دلالة على أنه مشي متجدد على الأرض من لحظة لأخرى، يتجدد معه النظر بما في هذا الكون من دلائل وآيات تزيدهم ورعا وخشوعا وإيمانا، وهذا المشي قد اقترن بالهون الذي يدل على ملازمتهم للتواضع والخلق الحسن.

فالهون: هو الرفق واللين، فقد يكون صفة للمشي، وقد يكون التعبير به للدلالة على التواضع ولين الجانب في معيشتهم وتصرفاتهم مدة حياتهم(26).

وفي وصف القرآن للمشي بالهون دون السعي دلالة على أنه مشي بأناة لإنعام النظر، لأن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، ولكون المشي دون إسراع لا يقع فيه أذى لأنفسهم ولا للآخرين، فتتحقق فيه السلامة. ولا يخفى أن العجلة في السير تعاني منه الأمم في هذه الأيام، الأمر الذي يسبب الحوادث الكثيرة المتعلقة بسوء استعمال الطريق الناجم عن السرعة من المستعملين له، ولذا كانت وصية لقمان - عليه السلام- لولده "واقصد في مشيك" (لقمان/19)، فعباد الرحمن يمشون لقضاء شؤون حياتهم الدنيا في الأرض برفق وروية، وإن كان الأمر يتعلق بالآخرة فهم يسعون إليها سعيا بجد ونشاط، فهي أكبر همهم قال تعالى "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً" (الاسراء/19)، والتعبير بالمصدر "هونا" بدل اسم الفاعل جاء للمبالغة.

وهذا يعني أن الهون جانب أساسي في حياتهم يشمل سائر سلوك عباد الرحمن وتصرفاتهم، يقول أبو حيان "أما أن يكون الهون صفة للمشي وحده فباطل لأن رب ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس"(27)، و يؤكد صحة ما ذهب إليه أبو حيان فعله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه سعيد الجريري عن أبي الطفيل قال: "رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قلت: كيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحا إذا مشى كأنما يهوي في صبوب"(28) أي كأنما يسير -صلى الله عليه وسلم- من موضع منحدر.

ونلاحظ استعمال القرآن للحرف (على) مع وصف عباد الرحمن بالمشي على الأرض وهو الموضع الوحيد في القرآن وما سوى هذه الآية فقد استعمل القرآن معه حرف الجر (في) ومنها قوله "ولا تمش في الأرض مرحا" (الإسراء/37) وقوله "قل سيروا في الأرض" (الأنعام/11) وهذا استعمال في غاية الدقة البلاغية فقد هيأ الله لنا هذه الأرض وسخرها لنسير فيها دون تكلف، ونمشي دون عناء والحرف (في) يفيد هذا المعنى، والحرف (على) لا يعطي هذا المعنى وإنما استعمل هنا مع عباد الرحمن ليعطي بيانا عجيبا، فَـ "على" حرف للاستعلاء "فهم يشعرون بهذا العلو الذي ميزهم الله به ولكنه علو ليس فيه فساد، إنما هو علو فيه شكر لله وتواضع"(29) فهم يستعلون على متاع الدنيا الزائل، ويستعلون على كل ما يغضب الله، نفوسهم وقلوبهم وأرواحهم تطلب عنان السماء تحقيقا لمرضاة الله.

ثم يبين القرآن الكريم من بعد ذلك حالهم مع الناس بعد بيان حالهم في أنفسهم من صبر على الأذى، وتحمل للعناء حال مخاطبة السفهاء قال تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما".

وفي التعبير بـ"إذا" الشرطية التي تتميز باستعمالها في كل ما يجزم المتكلم بوقوعه في الزمن المستقبل دون (إن) التي لا تدل على عدم جزم(30) دلالة على الجزم بتعرض السفهاء لهم؛ فعباد الرحمن ليسوا مختفين بعيدين عن الناس بل يسيرون لدعوتهم ونصحهم، ويصبرون على أذاهم بالقول أو الفعل.

والخطاب: هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، واحترز بذلك عن الحركات والإشارات المفهمة(31)، وسر التعبير في الخطاب أن الجاهلين حال خطابهم للمؤمنين، يخاطبونهم خطاب من يريد أن يفهم غيره ما لا يرضيه من القول، فهم أهل الفهم من وجهة نظرهم، وعباد الرحمن قوم بحاجة إلى من يفهمهم، ومع هذا الأسلوب الاستعلائي إلا أن عباد الرحمن يتحملون ذلك الخطاب ويردون بأدب قائلين: "سلاما" بالرغم من أن هذا الخطاب من السفهاء لعباد الرحمن متضمن ما يكرهونه، وما يثقل عليهم من القول(32).

والجاهلون جمع جاهل، والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب وسوء التصرف(33). فيقابل عباد الرحمن ذلك الجهل بما أخبر عنه القرآن من حالهم "قالوا سلاما": أي نسلم سلاما، والتعبير بالفعلية يفيد التجدد والحدوث، وفيه إشارة إلى أن الخطاب والمواجهة مع هؤلاء السفهاء تتجدد من لحظة إلى أخرى من غير يأس من إصلاحهم وردهم إلى الجادة.

وخص القرآن الكريم بالذكر حسن خطابهم للجاهلين مع أن خطابهم حسن مع غيرهم من الخلق أيضا، للدلالة على أنهم قوم يترفعون عن الألفاظ السيئة، فعباد الرحمن لا يقابلون فحش القول وهجره بفحش وهجر مثله؛ فإذا رماهم السفهاء بالكلمة الخبيثة أعرضوا عنهم(34) وكانوا أحسن خطابا وأطيب بيانا وأحسن لسانا؛ وقد ذكر الرازي في معنى جوابهم "قالوا سلاما" أربعة احتمالات :

الأول: أن يكون مرادهم طلب السلامة والسكوت.

والثاني: أن يكون المراد التنبيه على سوء طريقتهم.

والثالث: أن يكون مرادهم العدول عن طريقة المعاملة.

والرابع: أن يكون المراد إظهار الحلم في مقابلة الجهل(35).

وأرى أن الرأي الأول محتمل لأن مماراة السفهاء توقع في ما لا تحمد عقباه والأقرب منه القول الرابع المبني على إظهار الحلم في موقع الجهل، وذلك لما للحلم من آثار طيبة ترد الضال إلى الجادة.

قال الثعالبي: "وهذه الآية كانت قبل آية "السيف" فنسخ منها ما يخص الكفرة، وبقي أدبها في المسلمين"(36)، والحق أنه لا وجود للنسخ أصلا فلم يؤمر المسلمون بالسلام على المشركين ولا نهوا عنه، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل فلا حاجة لدعوى النسخ(37) ثم إن الإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة أحيانا فلا ينسخ(38).

والتعبير بالفعلية "سلاما" أي نسلم سلاما، يفيد أنه حلم متجدد مع تجدد سفه السفهاء وبعد أن يبين الكتاب المبين سيرتهم في النهار من جانبين أحدهما: ترك الإيذاء وهو المراد من قوله "يمشون على الأرض هونا" والآخر: تحمل الأذى وهو المراد من قوله "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما "فكأنه بين سيرتهم مع الخلق بالنهار، فأتبعها ببيان سيرتهم بالليل باشتغالهم بعبادة الخالق سبحانه وتعالى"(39) فقال جل وعلا: "والذِين يبِيتُون لِربهم سجداً وقِياماً" (الفرقان/64).

وانظر كيف قدم القرآن أيضا تعامل عباد الرحمن مع الناس على تعاملهم مع الله وهي البيتوتة له بالسجود وذلك حتى لا يفهم الناس أن هذا الدين مجرد صلاة وصيام وزكاة وحج فحسب، بل هو أيضا حسن خلق وتعامل مع الناس يجب أن تجسده هذه العبادات في واقع الحياة.

والبيتوتة هي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم واقتران البيتوتة بقوله: (سجدا وقياما) يعني إحياء عباد الرحمن لليلهم بالصلاة(40) وهذا يعني أن قلوبهم لا تخلو من ذكر الله تعالى ليلا، فنهارهم في كفاح وعمل من أجل مرضاة الله، وليلهم اذا أقبل عليهم الليل أقبلوا على الله بالصلاة والذكر.

وخصص بالذكر حالهم في الليل من سجود وقيام وتلاوة قرآن مع أنه يكون منهم في بعض أوقات النهار أيضا، وذلك لأن الليل من أفضل الأوقات لمناجاة المولى جل وعلا حيث تسكن النفوس، وتتصل القلوب والأرواح بخالقها بعيدا عن الرياء ومشاهدة الناس "فما دام سجودهم هذا في لياليهم

وخلوتهم مع بارئهم الرحمن، فهو سجود صادق التعبير صادق الدلالة على خضوعهم القلبي والنفسي لله تبارك وتعالى"(41).

وفي التعبير بالمضارع "يبيتون" دلالة بينة على أنها حالة متجددة منهم، فينتقلون من ليلة إلى أخرى بالقوة نفسها والنشاط ذاته بلا ملل ولا كلل من عبادتهم للرحمن.

وفي تقييد البيتوتة بـ(لربهم) وتقديمها على السجود والقيام "إشارة إلى أنهم يقصرون عملهم كله بالليل على ذكر الله، فلا يذكرون إلا الله ولا يشغلهم شيء عن ذكره "(42) فهم قوم يقضون ليلهم بين قيام وسجود وذكر.

والسجود في اللغة هو الخضوع وطأطأة الرأس(43) وهو وضع الجبهة أو جزء منها مكشوفة على الأرض أو غيرها من المصلي(44)، والقيام للصلاة: هو الشروع فيها(45).

ونجد القرآن الكريم يقدم السجود على القيام بالذكر مع أن السجود متأخر عنه في الفعل، "وذلك لفضل السجود فإنها حالة أقرب ما يكون العبد فيها من الله"(46).

وبعد أن وصف الله عباد الرحمن بإحياء الليل أتبعه ببيان أنهم قوم لا يغترون بما قدموا من أعمال، فهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله يطلبون منه صرف العذاب عنهم(47) قال تعالى: "و لذِين يقُولُون ربنَا صرفْ عنا عذَاب جهنم إِن عذَابها كَان غَراماً ِإنها سآءتْ مستَقَراً ومقَاماً" (الفرقان/65-66).

ولا يكون هذا الابتهال منهم إلا بعد العمل الخالص لله رب العالمين، والنزاهة عن أكل ما حرم،ليكون دعاؤهم موضع استجابة.

وقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "الرجلُ يطِيلُ السفَر، أَشْعثَ أَغْبر، يمد يديهِ إِلى السماءِ، يا رب يا رب ومطْعمه حرام، ومشْربه حرام، وملْبسه حرام، وغُذِي بِالْحرامِ. فَأَنى يستَجاب لِذَلِك"(48).

وقدم القرآن الكريم طلبهم النجاة من النار على طلبهم قرة العين بالذرية والأزواج لأن دفع المفاسد أولى من جلب المصالح، ولأن النجاة من النار أمر يتبعه دخول للجنة برفقة الأبرار.

وفي حكاية قولهم هذا مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب، ويبتهلون إلى ربهم عز وجل في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم(49).

أما ما ذهب إليه عبد الرحمن حبنكة بقوله: "وهذا يدل على أنهم يعترفون بخطايا قد ارتكبوها فهم يسألون ربهم أن يصرف عنهم العقاب الأخروي عليها في جهنم"(50) فهو محتمل، فقد يكون لهم ذنوب وهم يستكثرونها لمقامهم.

والأقرب منه القول:إنه لا يشترط في الدعاء بصرف العذاب أن يكون سببه ذنوبا ارتكبها العبد في حق مولاه، ولكن هذه الصفوة لشفافيتها مع ما تقدمه من طاعات تتهم النفس بالتقصير، لاعتقادها أن الاعتماد على الأعمال الصالحة وحدها لا يكفي بل لا بد معها من رحمة الله سبحانه وفضله، يؤكد ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لن يدخِلَ أحداً عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله بفضل ورحمة. فسددوا وقاربوا"(51).

وهذا ما يوضحه قوله تعالى: "والذِين يؤْتُون ما آتَوا وقُلُوبهم وجِلَةٌ َأنهم ِإلَى ربهم راجِعون. ُأولَئِك يسارِعون فِي الْخَيراتِ وهم لَها سابِقُون" (المؤمنون/60-61).

وفي حذف القرآن لأداة النداء(يا) حال ذكر دعائهم وطلبهم من الله صرف العذاب يشعرنا بقرب المنادي من الله حال دعائه، ومن أولى بالشعور بهذا القرب ممن وصف بهذه الصفات الجليلة؟

وفي ذكر هذه الصفوة للفظ الربوبية في قولهم "ربنا" ما يدل على مدى اعترافهم بإنعام الخالق الرازق المنعم جل وعلا، وفي إضافتهم أنفسهم إلى لفظ الربوبية إنباء عن قوة شعورهم بتحقيق ما يرجونه منه سبحانه من رحمة وعطف.

والصرف :رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره(52) فهم يطلبون رد العذاب ليحل محله غيره وهو النعيم، وبذلك يتضح لنا دقة هذا الدعاء في اختيار الصرف دون الإبعاد.

والعذاب في قوله (عذاب جهنم) مأخوذ من أعذبه إذا أزال عذوبته، فالعذاب تزول به حلاوة العيش، وهو الإيجاع الشديد(53)، وجهنم: اسم علم يطلق على دار العذاب التي أعدها الله -عز وجل- للمجرمين... وتطلق على القعر البعيد(54)، وجملة "إن عذابها كان غراما "تعليل لدعائهم

المذكور في صرف عذاب جهنم ببيان سوء حال من فيها. والسر في إضافة العذاب إليها للدلالة على هول العذاب وشدته.

ومعنى كونه غراما: أي لازما دائما غير مفارق، ومنه سمي الغريم لملازمته ويقال "فلان مغرم بكذا: أي ملازم له مولع به"(55).

ويرى الفراء "أن الغريم إنما سمي غريما لأنه يطلب حقه ويلح حتى يقبضه"(56). وفي هذا التعبير دلالة بلاغية غاية في الجمال على أن هذا العذاب يتمكن ممن وقع فيه تمكنا تاما حتى ينال منه النصيب الذي يستحقه.

وقوله:"إنها ساءت مستقرا ومقاما "تعليل لحالها في نفسها بعد بيان حالها مع غيرها والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم دل عليه ما جاء في بداية الدعاء، أي إن جهنم بئس موضع قرار وإقامة.

وهذان تعليلان لا ترادف فيهما، فذكر الأول لزوم عذابها، وذكر الثاني سوء مكانها، وهما متغايران(57)؛ يقول الفخر الرازي في ذلك: "إن عذابها كان غراما إشارة إلى كونه مضرة خالصة عن شوائب النفع، وقوله "إنها ساءت مستقرا ومقاما "إشارة إلى كونها دائمة ولا شك بالمغايرة"(58).

أما الفرق بين المقام والمستقر، فهو أن المقام مأخوذ من أقام بالمكان إذا لبث فيه واتخذه موضعا وموطنا(59) والمستقر هو القرار والثبوت وهو مأخوذ من استقر بالمكان إذا تمكن وسكن فيه(60).

ويرى الرازي أن المستقر للعصاة من أهل الإيمان فإنهم يستقرون في النار، ولا يقيمون فيها وأما الإقامة فللكفار(61). وأرى أن الأقرب في الفرق بينهما عكس ما قاله الرازي؛ وهو ما أشار إليه أبو حيان فيما بيناه سابقا، ومن بعده حبنكة بأن المستقر مكان استقرار دائم، فالاستقرار هو البقاء والدوام وأن المقام مكان الإقامة وهي بقاء نسبي لا يشترط فيه الدوام الطويل(62)، وعليه فالاستقرار للكفار والإقامة للعصاة من المسلمين.

وترك القرآن العطف بين التعليلين في طلب صرف العذاب للإشارة إلى أن كلا منهما مستقل بالعلية(63)، وسبب آخر لهذا الفصل ذكره القزويني وغيره من أهل العلم وهو أن سبب الفصل -عدم العطف بالواو- بين الجملتين المعللتين لطلب صرف العذاب يعود لكمال الاتصال بين الجملتين وهو من موجبات الفصل(64)، فمادام العذاب وصف بشدة الملازمة إذن فالمكان الذي يقع فيه العذاب موصوف بسوء الاستقرار والإقامة.

ثم يذكر القرآن لعباد الرحمن صفة أخرى تتمثل بإنفاقهم مما رزقهم الرحمن؛ فقال تعالى: "و لِذين إِذَآ أَنفَقُواْ لَم يسرفُواْ ولَم يقْتُرواْ وكَان بين ذَلِك قَواماً"(الفرقان/67).

وهذه صفة إيجابية أخرى لعباد الرحمن تتعلق ببيان تعاملهم مع ما أنعم الله به عليهم، فهم أمة وسط في إنفاقهم مقتصدون، فلا غلو ولا تقصير.

ويطلق القرآن عبارة الإنفاق للدلالة على أنهم عباد مقتصدون عدول في جميع سبل إنفاقهم سواء أكان إنفاقهم على أنفسهم أم على غيرهم، وعليه فهذا التعميم يرد قول من قال إن المراد بالنفقة هنا نفقتهم على عيالهم بشكل خاص(65).

وانظر كيف قيد القرآن الإنفاق بأداة الشرط "إذا" للدلالة على أن إنفاقهم مجزوم بوقوعه، فهم لا يمسكون ولا يتأخرون عن أداء ما هو مطلوب منهم من واجبات تتعلق بالإنفاق.

والإسراف: مجاوزة الحد في النفقة، والقتر: التضييق، وقيل بأن الإسراف إنفاق في غير طاعة والقتر: الإمساك عن الطاعة(66).

والأقرب أن التقتير: منع الحق، ولا يقع اسم التقتير إلا على ما يكون المرء مطالبا بالإنفاق فيه فيحبسه عنه(67)، فمدحهم القرآن بأنهم قوم لا يمنعون حقا وجب عليهم في المال الذي أكرمهم الله به، وقد جاء في "ولم يقتروا" ثلاث قراءات(68) ومعناها جميعاً التضييق في الإنفاق الواجب(69).

والسر في تقديم الإسراف على القتر لأن خطره على الناس أشد، فسرف المال يسرع بذهابه وتصعب إعادته بعد ذلك، بخلاف الإمساك فهو حفظ له يمكن من إنفاقه في مستقبل الزمان، وإن وقع التقصير في بذله في سالف الزمان.

وقد دلت هذه الآية على جانب مهم في النظام الاقتصادي وهو جانب صرف المال في مصارفه، فمهما كان الإنسان حسن النظر في أوجه اكتساب المال وجهل صرفه؛ فإن جميع ما حصل من مال يضيع عليه دون فائدة(70).

والإشارة في "بين ذلك "إشارة إلى الإسراف والإقتار، وسر التعبير باسم الإشارة الذي للبعيد للدلالة على بغض الله للإسراف والتقتير على السواء.

ومعنى القوام في قوله "قواما" أي وسطا عدولا، وسمي القصد به لاستقامة الطرفين وتعادلهما كأن كلا منهما مقاوم للآخر(71).

فعباد الرحمن في نفقتهم متوسطون؛ فلا إسراف يوصلهم حد التبذير ولا تضييق يصيرون به في حد المانع لما يجب عليه.

وقد جاء التنبيه النبوي على هذه الوسطية في قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما عال من اقتصد"(72).

والوسطية صفة تتجلى في أحوال عباد الرحمن كلها وخص الحديث عنها بإنفاق المال لأنه "أكثر ما يتجلى هذا المبدأ في إنفاق المال، حيث هو عملية مستمرة يقوم بها الإنسان مرات عديدة كل يوم، سواء أكان غنيا أم فقيرا كل ينفق حسب ما معه من مال"(73).

ومن جمال النظم أن نرى العدول عن الجمع في قوله تعالى: "أنفقوا" إلى الإفراد في قوله سبحانه: "وكان بين ذلك قواما"، فالقرآن الكريم يرشدنا بذلك إلى مراعاة أحوال هذه الصفوة من الناس، فكل ينفق بحسب حاله وعياله(74)، وكل فرد منهم مختلف عن الآخر بإنفاقه لاختلاف قدرته وطاقته؛ لذا كان من البلاغة العدول عن الجمع إلى الإفراد.

المبحث الثاني

الآيات التي تنفي صفات السلب (التخلية)عن عباد الرحمن

بعد أن ذكر القرآن الكريم الآيات التي تحدثت عن صفات التحلية التي ينبغي أن يتحلى بها عباد الرحمن للدلالة على سموها ورفعتها أتبعها بالحديث عن الآيات التي تنفي صفات السلب وتنفي عنهم ذميم الأخلاق "فبدأ صدر الآيات بإثبات صفات التحلي تشريفا لها ثم أعقبها بصفات التخلي تبعيداً لها"(75).

وقدمت صفات التحلية على صفات التخلية أيضا "لأن الأوصاف المذكورة في التحلية أوفق بالعبودية التي جعلت عنوان الموضوع لظهور دلالتها على ترك الأنانية، ومزيد الانقياد والخوف والاقتصاد في التصرف بما أذن المولى بالتصرف فيه"(76).

علماً بأننا نجد القرآن يقدم أحيانا التخلية على التحلية، كتقديمه التوبة على الرحمة، حين يقدم اسم "التواب" على "الرحيم" على سبيل المثال، وذلك لأن التخلية مقدمة على التحلية حين الوعظ لكن الحديث في هذه الآيات عن صفوة المتقين، فمن البلاغة أن يقدم ما تحلوا به من صفات طيبة، على ما تخلوا عنه من صفات ذميمة.

فهذا قسم آخر من صفات عباد الرحمن وهو قسم التخلي عن المفاسد(77) يذكره الله بعد قسم صفات التحلية، ليبين أن المرء لا يصير بتلك الخصال السالفة وحدها من عباد الرحمن حتى يضاف إلى ذلك مجانبة الكبائر(78).

ثم بدأ القرآن بنفي صفة الشرك بالله عن عباد الرحمن في قوله تعالى: "والذين لاَ يدعون مع اللهِ إِلَٰها آخَر ولاَ يقْتُلُون النفْس التِي حرم الله إِلا بِالْحق ولاَ يزنُون ومن يفْعلْ ذَٰلِك يلْقَ أَثَاما" (الفرقان/68)، وذلك لأنها أخطر الصفات على الإطلاق، فقال تعالى: "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر" أي لا يجعلون لله شريكا بل يتوجهون إليه بالعبادة وحده"(79).

وسر التعبير بالدعاء (لا يدعون) مع أن المراد نفي عبادتهم غير الله والدعاء جزء منها، لأن دعاء العبد ربه من أجلّ عناصر العبادة، وقد يطلق الدعاء ويراد به مطلق العبادة ويدخل فيه السؤال والطلب من الله ومن غيره(80).

ودعاء غير الله ينم عن اعتقاد قلبي بتحقيق النفع أو دفع الضر ممن يتوجه إليه الإنسان، وهو من أكبر الذنوب. "سئلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: أي الذنبِ عند الله أكبر؟ قال: أن تجعل للهِ نِداً وهو خَلَقَك. قلتُ: ثم أي؟ قال: ثم أن تَقتلَ ولدك خشيةَ أن يطعم معك. قلتُ: ثم أي؟ قال: أن تُزاني حليلة جارك". قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-: ونزلَتْ تصديقاً لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحقّ ولا يزنون} (الفرقان/68)(81).

ولذا لم يدخل المشرك تحت المشيئة بالمغفرة قال تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء/48).

وسر تنكير "إلها" في قوله (إلها آخر) للتقليل، فمن هذا الذي يستحق أن يشرك بالله العظيم تبارك وتعالى لعبادته؟

واتبع القرآن نفي الشرك عنهم بنفي القتل ونفي الزنا، مقرونا بأداة النفي "لا" مع كل صفة دون الاكتفاء بالعطف،

للدلالة على قربها من بعضها في الخطورة وأن القتل والزنا لا يقلان في الخطورة عن الشرك فهما ينتظمان في سلكه في تعريض مرتكبهما لغضب الله.

ويدل الترتيب لجريمتي القتل والزنا بعد الشرك على أن أعظم الذنوب بعد الشرك هاتان الجريمتان(82)، والقتل المنفي هنا قتل النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات(83).

وأصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت لكن إذا كان بفعل القائم بذلك يقال قتل؛ وإذا كان بفوت الحياة يقال موت(84).

فعباد الرحمن لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق لأن هذا الدين رباهم على الخير والنماء ومنعهم من إراقة الدماء بغير حق، وهذا الاستثناء (إلا بالحق) مفرغ من عموم الأسباب فهم لا يقتلون النفس إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها كالزنا بعد إحصان، والكفر بعد الإيمان(85).

ومعنى قوله تعالى: (ولا يزنون): أي لا يطأون فرجا محرما عليهم(86).

وفي نفي الشرك والقتل والزنا بالأفعال المضارعة "لا يدعون، ولا يقتلون، ولا يزنون" ما يدل على نفيها عنهم بالحال والاستقبال فمنذ أن انتظموا في صفوف عباد الرحمن فهم مبتعدون عن هذه الأفعال في الحال وفي مستقبل الزمان.

وانظر إلى جمال التقديم والتأخير فيها؛ فبدأ أولا بدعاء غير الله وهو الشرك فالجريمة الأولى عدوان على الله، وثنى بالقتل وهو عدوان على الإنسانية بإزهاق الروح، ثم أتبعها بالزنا وهو عدوان على الحقوق وانتهاك للأعراض(87).

وانظر إلى جمال الوصل هنا بالعطف (بالواو) بين الجمل الثلاث وذلك للتغاير والاشتراك(88) فهي أفعال تشترك في قبحها وتحل غضب الله على فاعلها، لكنها أفعال متغايرة فالشرك غير القتل والقتل غير الزنا.

والزنا: هو إيلاج حشفة أو قدرها بفرج محرم مشتهى بلا شبهة(89) وقيل هو وطء الرجل المرأة في القبل في غير ملك أو شبهة ملك(90).

والإشارة بذلك في قوله تعالى: "ومن يفعل ذلك" إلى المجموع من دعاء غير الله وقتل النفس بغير الحق والزنا،(91) وفي الإشارة بالبعيد لهذه الأفعال دلالة واضحة على بعد مرتكبها من الله، الأمر الذي يدل على استبعاد وقوعها من عباد الرحمن.

وقوله "يلق أثاما" جواب للشرط في قوله تعالى: "ومن يفعل ذلك"، فهو جزاء مترتب على تلك الأفعال.

وانظر إلى بلاغة القرآن الكريم في التعبير بـ (يلق) دون كلمة يجد، وذلك لأن اللقيا هي الاستقبال مواجهة(92) فهو لقاء لا ينفك عنه الملاقى.

والأثام هو جزاء الإثم فأطلق اسم الشيء على جزائه، تهويلا وتخويفا من ارتكاب ذلك(93)، ولبيان أن ما أصاب المعتدي هو من عدل الله جزاء ما ارتكب من الآثام.

وانظر إلى دقة القرآن في التعبير بالأثام وهو جزاء الإثم دون أن يقول "يلق جزاء ذنبه"، وذلك لوجود فرق دقيق بين الإثم والذنب، "فالذنب مطلق الجرم عمدا كان أو سهوا بخلاف الإثم، الذي يستحق صاحبه الأثام ويختص بما يكون عمداً"(94).

ثم جاء من بعد ذلك التفصيل القرآني لتوضيح الجزاء الذي ينتظر المعتدي في قوله تعالى: "يضاعفْ لَه الْعذَاب يوم الْقِيامةِ ويخْلُد فِيهِ مهاناً" (الفرقان/69).

والتضعيف هو الزيادة في الشيء، وضعف الشيء مثله فأقل الضعف محصور وهو المثل، وأكثره غير محصور(95)، وهو تعبير في غاية الدقة والبلاغة يبين هول ما ينتظر المرتكب لهذه الجرائم من عذاب متنام.

وتقديم الجار والمجرور (له) يفيد الاختصاص بهذا التضعيف، وهذا يدل على هول هذه الجرائم وخطورتها.

أما ما ذهب إليه حبنكة بقوله: "فينبغي أن نفهم أن مضاعفة العذاب في هذا النص خاصة بعباد الرحمن الذين ارتقوا فوق مرتبة المتقين... وصاروا في نظر العامة قدوة وأسوة حسنة فكان جزاء كبائرهم مضاعفاً مثلين في مقابل أن أجورهم على صالحات أعمالهم مضاعفة أيضا"(96) فهو محتمل، لكن الأمر الذي يرجح عدم خصه عباد الرحمن بالخلود المذكور بعد المضاعفة لمن مات على الشرك.

ويرى الالوسي وأبو حيان والرازي والخازن أن التضعيف مرتب على مجموع هذه المعاصي ولا يلزم ذلك التضعيف على كل واحد منها، وذلك لأن عذاب الكفار

يتفاوت بحسب جرائمهم(97).

وأقول: إن التضعيف لا مانع أن يكون على كل جريمة منفردة من هذه الجرائم لخطرها على الأفراد والمجتمعات، لكون الفاعل لأي جريمة منها يصبح قدوة لغيره، فيحمل وزر جريمته ووزر من اقتدى به في هذه الجريمة من غير أن ينقص من أوزار المقتدين شيء، فقد توعد الله القاتل عمدا بالخلود في جهنم ما دام مستحلا لهذا العمل. قال تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها"(النساء/93) والزنا كذلك له مخاطره لقوله -صلى الله عليه وسلم- :"لا يزني الزانِي حِين يزنِي وهو مؤْمِن"(98).

وخصص العذاب بالمضاعفة يوم القيامة دون الدنيا لأن الله قد يملي للظالم في الدنيا وقد لا يعجل له العقوبة بل يؤخرها للآخرة.

وقد يشكل على الناظر في قوله تعالى: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها" (الأنعام /160) القول بالتضعيف للعذاب في هذه الآيات، "والحقيقة أنه لا تناقض بين آيات القرآن الكريم، فالذي يرتكب هذه الفعلة يكون أسوة في المجتمع يجرئ غيره على ارتكاب هذه الجريمة، لذالك فعليه وزره فاعلاً أولا، وعليه وزر من اقتدى به"(99). وهو ما يبينه أيضا قوله تعالى: "ولَيحمِلُن أَثْقَالَهم وأَثْقَالاً مع أَثْقَالِهم ولَيسأَلُن يوم الْقِيامةِ عما كَانُوا يفْتَرون" (العنكبوت/13).

وقد قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء (يضاعف) وقرأ الباقون بجزمها، وقرأ أبو جعفر بتشديد العين(100) ويرى بعض العلماء أن "يضاعف" و"يضعف" في المعنى سواء(101)، لكن الذي أميل إليه أن قراءة التشديد تفيد شدة العذاب والمبالغة فيه.

ثم يقرن القرآن المضاعفة بأمر أخطر وهو الخلود في العذاب الذي يدل على الدوام والاستمرارية في قوله تعالى: "ويخلد فيه مهانا"، وقد قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم، وحمزة والكسائي (ويخلد) بجزم الدال، وقرأ ابن عامر بالضم للدال في قوله (ويخلد)، وقرأ حفص وابن كثير "فيه مهانا" بوصل الهاء بياء(102) ويفيد إشباع الكسرة بوصل الهاء بالياء شدة التعذيب، والمبالغة في إهانة المعذبين، "فالضمير في (فيه) عائد على العذاب"(103).

والخلود في العذاب مسبب عن موت الإنسان على الشرك إذا لم يتب من شركه، وأما الإهانة في العذاب فلأنه قابل تكريم الله له وإنعامه عليه في هذه الحياة بالكفر والعصيان، وارتكب أبشع الجرائم، وأعظمها من قتل وزنا.

وسر تقييد العذاب بالمهانة للدلالة على أنه يصل للمعذبين على وجه الاستخفاف والإهانة، وإنما قال الله ذلك لأنه عز وجل يوصل الآلام إلى بعض المكلفين من غير إهانة(104)، وللدلالة على أنه يجمع عليهم بين العذاب المعنوي والعذاب المادي.

ثم يستثني المولى سبحانه وتعالى من تاب توبة مقرونة بالإيمان والعمل الصالح قبل الانتقال للدار الآخرة من هذا العذاب المهين؛ فبعد تهديد الفجار على هذه الأوزار الخطيرة أتبعه سبحانه بترغيب الأبرار بحثهم على الإقبال على الله العزيز الغفار(105) فيقول عز وجل: "إِلا من تَاب وآمن وعمِلَ عملاً صالِحاً فَأُولَـٰئِك يبدلُ لله سيئَاتِهم حسنَاتٍ وكَان لله غَفُوراً رحِيماً" (الفرقان/70).

والاستثناء هنا يصح أن يكون متصلا أو منقطعا، أما على الاتصال فالمعنى: "إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فلا يضاعف له العذاب، فلا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب".

وأما على الانقطاع فالمعنى: "لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وإذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة"(106).

وأما عامل الاستثناء "فلا خلاف بين العلماء في أن الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين فقال جمهور العلماء: له التوبة فهو داخل في المشيئة كسائر التائبين"(107). ورأي الجمهور أولى بالاعتماد، لأن القتل كبيرة من كبائر الذنوب تدخل تحت المشيئة في المغفرة، فإذا كان الشرك الذي قد يموت عليه الإنسان لا يدخل صاحبه تحت المشيئة بالمغفرة إن مات على الكفر، وأن الله يقبل توبة التائب منه في حياته، فمن باب أولى القتل، والله أعلم.

وقد ذكر القرآن الكريم في هذه الآية ثلاثة أمور لقبول العائد إلى الله مما ارتكب من هذه الجرائم: التوبة، والإيمان، والعمل الصالح.

فالتوبة: هي العودة والرجوع، يعود بها المذنب ويرجع إلى الله بالطاعة، فيعود الله عليه بالرضا بعد السخط.

وحتى يكون الإنسان تائبا لا بد من إقلاعه عن الذنب، وندمه على ما صدر منه من معصية، وأن يعزم على أن لا يعود إلى الذنب، بأن يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده على ذلك[108].

ويقدم القرآن الكريم التوبة على الإيمان في الآيات لعلو شرفها، ولكونها تخلية والإيمان تحلية، والتخلية مقدمة على التحلية[109]، أما تقديم التحلية على التخلية فيما تقدم من صفات فقد بينت علة ذلك في موضعه.

والإيمان في اللغة: التصديق، وفي الاصطلاح تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح[110]، والعمل الصالح:هو العمل المرضي عنه شرعا.

وإذا أنعمنا النظر في آي القرآن نجد آياته تعطف الإيمان على العمل ولا نجد آية واحدة تعطف الإيمان على الفعل، مما يطلعنا على بلاغة القرآن ودقته في استعماله للفظة العمل دون الفعل في هذه المواضع وذلك للفرق الدقيق بين الفعل والعمل، فالعمل يكون لما يقع من المكلف بقصد والفعل أعم يشمل ما كان بقصد أو غير قصد[111] وما كان بقصد هو موضع الجزاء وهو العمل على الإطلاق.

وبهذا العطف بين هذه الأمور مجتمعة يرشدنا القرآن إلى أنه لا بد من اقتران التوبة والإيمان بالعمل الصالح "فالإيمان بلا عمل كزرع بلا ثمر"[112]، ومن جملة العمل الصالح إصلاح ما أفسده الإنسان بعمله السابق.

والإشارة في قوله "فأولئك" إلى التائبين الذين عملوا الصالحات باستخدام اسم الإشارة الذي يشير للبعيد دلالة على علو منزلة أولئك المؤمنين التائبين العاملين عند رب العالمين ومكانتهم.

والعطف بالفاء في قوله (فأولئك) يفيد الترتيب والتعقيب[113] يقول ابن مالك:

والفاء للترتيب باتصال و(ثم) للترتيب بانفصال[114]

فالتعبير بالفاء في قوله "فأولئك" يفيد كرم الله في تبديل السيئات بالحسنات مباشرة عقب تحقق الأمور الثلاثة: التوبة والإيمان والعمل.

وتبديل السيئة بالحسنة: قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة، وكلا الأمرين يدلان على عظيم فضل الله، فإذا كان في الدنيا فالمعنى أن الله يبدلهم إيمانا بالشرك وإخلاصا بالشك وإحصانا بالفجور، وقد يكون في الآخرة في أن يضع مكان كل سيئة حسنة[115]، ومنه قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ "أتبع السيئة الحسنة تمحها"[116].

وأرى أن الرأي الثاني القائل إن التبديل في الآخرة أولى بالقبول لأن التوبة في الدنيا تمحو السيئة أصلا، ويدل عليه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِني لأَعلَم آخِر أَهل الْجنةِ دخُولاَ الْجنةَ، وآخِر أَهل النار خُروجاً مِنْها. رجلٌ يؤْتَىٰ بِهِ يوم الْقِيامةِ، فَيقَالُ: اعرِضوا علَيهِ صِغَار ذُنُوبِهِ وارفَعوا عنْه كِبارها. فَتُعرض علَيهِ صِغَار ذُنُوبهِ. فَيقَال: عمِلْتَ يوم كَذَا وكَذَا، كَذَا وكَذَا. وعمِلْتَ يوم كَذَا وكَذَا، كَذَا وكَذَا. فَيقُولُ: نَعم، لاَ يستَطِيع أَن ينْكِر. وهو مشْفِقٌ مِن كِبارِ ذُنُوبِهِ أَن تُعرض علَيه، فَيقَالُ لَه: فَإِن لَك بِكُل سيئَةٍ حسنَةً. فَيقُول: رب قَد عمِلْتُ أَشْياء لاَ أَراها هٰهنَا. فَلَقَد رأَيتُ رسولَ اللّهِ ضحِك حتى بدتْ نَواجِذُه"[117].

والتعبير بالمضارع "يبدل" يفيد التجدد والحدوث، وهذا يعني أن العبد قد يتكرر منه ارتكاب السيئة بعد التوبة الصادقة بحكم الضعف البشري، فيكرمه الله جل وعلا بتبديل الحسنة بالسيئة أيضا، كلما تاب توبة نصوحا بعد ارتكاب الذنب.

وأما إظهار لفظ الجلالة في موطن الإضمار وذكر الاسم الأعظم ففيه تعظيم للأمر، وإشارة إلى أنه سبحانه لا منازع له[118]، فالتوبة والعفو، وتبديل السيئة بالحسنة أمور تعظم بعظم المتفضل بها، وتنكير الحسنات يفيد التكثير والتعظيم لهذه الحسنات تكرما من الله وفضلا.

والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه، وأحواله والسيئة تضادها[119].

ثم يؤكد القرآن فضل التوبة والعمل الصالح في قوله تعالى: "ومن تَاب وعمِلَ صالِحاً فَإِنه يتُوب إِلَى للهِ متاباً" (الفرقان/71).

وهذا ليس من باب التكرار لأن الأول لما كان في تلك الخصال فقد بين الله تعالى هنا أن جميع تلك الذنوب بمنزلتها في صحة التوبة منها، أو أن التوبة الأولى رجوع عن الشرك والمعاصي، والتوبة الثانية رجوع إلى الله للجزاء

والمكافأة(120) لقوله تعالى: "قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب" (الرعد/30).

ولا مانع من أن تكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال "من تاب وآمن" ثم عطف عليه من تاب من المسلمين، واتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين أيضا(121) ولعل هذا هو السر في ذكر الإيمان مع التوبة الأولى دون الثانية، فالتوبة قد تكون من القبيح لقبحه وقد تكون التوبة إلى الله من غير فعل قبيح وإنما طلبا لثواب الله(122).

وقد قدم القرآن الكريم التوبة مباشرة بعد ذكر هذه المعاصي قبل الاستمرارية في ذكر باقي الصفات، لبيان خطورة هذه الذنوب، وليتعجل المسيء بالتخلص منها بالتوبة النصوح.

ثم يتبع القرآن نفي الشرك والقتل بغير حق والزنا عن الموصوفين بالعبودية للرحمن بنفي شهادة الزور عنهم وذلك لكونها على شاكلة ما سبق وذلك في قوله تعالى: "والَّذِين لا يشْهدون الزور وإِذَا مرواْ بِاللغْو مروا كِراماً" (الفرقان/72).

وانظر إلى جمال الترتيب في النظم لهذه الجرائم فالشرك فيه تزوير للحقيقة بإشراك غير الله معه في العبادة، والقتل الباطل إزهاق للنفس بغير حق، والزنا فيه تزوير باختلاط النسل، فأتبعها القرآن بنفي التزوير في الشهادة التي يترتب عليها الضلال وإضاعة الحق.

أو انه نفى عنهم شهود فعل الزور "المعاصي"، بعد أن نفى عنهم فعل الزور، فهم يرتفعون بأنفسهم عن حضور هذه المعاصي فضلا عن ارتكابها، فنفي شهادة الزور عن عباد الرحمن يفيد أمرين :

الأول: لا يقيمون الشهادة الكاذبة.

الثاني: لا يحضرون مجالس الباطل على أن الزور يعم كل شيء باطل مائل عن جهة الحق(123).

وأميل إلى أن لا يخص الزور بنوع دون نوع، وعليه فهم لا يحضرون كل ما يصدق عليه اسم الزور سواء أكان إقامة الشهادة الكاذبة أم غيرها، وذلك لأن حضور مواقع الزور يعني الرضا بها ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه.

والتعبير بالمضارع "لا يشهدون" يفيد التجدد والحدوث فهم مبتعدون عن ذلك في الحال والاستقبال.

وعبر القرآن بـ(إذا) الشرطية التي تفيد الجزم بوقوع فعل الشرط بعدها في قوله (وإذا مروا) للدلالة على أن عباد الرحمن وإن كانوا لا يحضرون الزور وأهله، ولا يرضون بفعله؛ إلا أنهم قوم لا يضعون رؤوسهم في التراب في ظل ما يرونه في المجتمع من لغو، فمرورهم من جانب أهل اللغو مجزوم بوقوعه، فهم قوم يخالطون الناس ويصبرون على أذاهم لتحصيل الأجر الأعظم لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"(124) فالتعبير بـ(إذا) يرد قول الألوسي: "إن مرورهم على طريق الاتفاق"(125) فمرورهم ومخالطتهم للناس أمر مجزوم به، لكنهم لا يشغلون وقتهم حال المخالطة إلا بأمر فيه طاعة، فحتى الكلام المباح بلا فائدة لا يضيعون وقتهم بالاستماع إليه فضلا عن أن يتكلموا به.

والمرور: المضي والاجتياز بالشيء، وفي هذا تنبيه على أنهم إذا دفعوا إلى اللغو كفّوا عنه وإذا شاهدوه أعرضوا عنه(126)، واللغو: هو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح(127) كالكلام المؤذي.

والكرامة :النزاهة ومحاسن الخلال، وأصل الكرامة نفاسة الشيء في نوعه فإذا مروا بأصحاب اللغو تنزهوا عن مشاركتهم(128)، فيمرون به مر الكرام الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه(129).

والتعبير بـ"كراما" يفيد أنهم معرضون عنه منكرون له، لا يرضونه ولا يمالئون عليه(130)، وهذا الوصف يشمل أنهم إذا وقع لهم مشهد من مشاهد العبث واللهو ولم يتمكنوا من النصح لم يقفوا عنده، ولم يلقوا بآذانهم أو أبصارهم إليه، بل مروا به وهم كرام مترفعون عنه بإيمانهم(131).

وإذا كان عباد الرحمن لا يستمعون للغو ولا يشتركون فيه فقد جاءت الآية التالية تبين حرصهم على الإصغاء والاستماع إلى ما هو نافع، فنفت عنهم صفة الصمم والعمى عن الآيات فقال تعالى: "والَّذِين إِذَا ذُكِّروا بِآياتِ ربهم لَم يخِروا علَيها صماً وعمياناً" (الفرقان/73).

والتعبير بالموصول دون الاكتفاء بالعطف للدلالة على أن هذه الصفة لا تقل عن غيرها من الصفات في الأهمية، فحسن الاستماع والفهم الدقيق للآيات يترتب عليه حسن الاستجابة

والتنفيذ لأمر رب العالمين.

وفي تقييد التذكير بـ"إذا "التي تدل على الجزم بفعل الشرط بعدها في قوله "إذا ذكروا "دلالة بينة على قوة الصلة بين عباد الرحمن وهذه الآيات، فاتصالهم بها وحسن استماعهم إليها أمر مقطوع به ليتفقهوا في الدين، ويعملوا بأمر رب العالمين "ومن هنا كان واجبا على المسلم أن يطلب العلم والمعرفة حتى يأخذ حظه من النظر في آيات الله وينتفع بهديها"[132].

والتذكير بقوله"ذكروا": قد يكون بالتلفظ بالشيء أو باستحضاره في الذهن بحيث لا يغيب عنه[133].

ويرى أبو حيان وابن كثير وغيرهما من المفسرين أن المراد بـ"آيات ربهم": هي آيات القرآن الكريم[134] وأرى أن الآيات ليست مقصورة على آيات القرآن بل تشمل كل ما في الكون من آيات أوجدها الله للدلالة على عظمته واستحقاقه للعبودية، فالكون مليء بهذه الآيات والله يقول: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"(فصلت/53).

فأضيفت الآيات إلى الرب سبحانه في قوله (بآيات ربهم) للتشريف، وللدلالة على مدى قداستها في نفوسهم فهي آيات من عند ربهم رازقهم المنعم عليهم، والحر يقابل الإنعام والإحسان بالشكر والعرفان.

وإضافتهم إلى لفظ الربوبية فيه تشريف لهم وتوضيح استحقاقهم ورعايتهم لهذه الإضافة .

والخرور في قوله"لم يخروا عليها " هو السقوط على غير نظام وترتيب، وفي هذا التعبير مبالغة في بيان مدى تأثير التذكير فيهم، وفيه تعريض بما عليه الكفرة والمنافقون من إعراض حال التذكير بالآيات[135]، قال الرازي: "ليس المراد نفي الخرور بل إثبات له، ونفي للصمم والعمى"[136]، فالصمم: فقدان حاسة السمع، وبه يوصف من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله، والعمى: يقال في افتقاد البصر والبصيرة[137] وعليه فعباد الرحمن سامعون للآيات بآذان واعية مجيلين النظر إليها بعيون راعية[138].

والناس، أمام التذكير بالآيات، أقسام، منهم من يذكر فيعرض عنها مباشرة ولا يقبل سماعها، وهم من عبر القرآن عن إعراضهم بـ"فاء" الترتيب والتعقيب في قوله تعالى: "ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها" (الكهف/57)، وقسم يذكر بالآيات فيسمع ويتفكر، ثم تغلبه شهواته وأهواؤه، فيعرض بعد سماع وهؤلاء عبر القرآن عن إعراضهم بـ"ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي فقال تعالى: "ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها" (السجدة/22)، وقسم ثالث منافق يسمع الآيات فيظهر الاستجابة لها مخافة القتل، أو طمعا بالغنيمة، فتسجد جوارحه ولا يسجد قلبه وقسم آخر حاضر القلب والنفس والفكر يسجد لله سجود السميع البصير المتدبر لآيات الله، المتفكر فيها وهم المتقون، وهم على درجات في هذا التفكر وأكثرهم عمقا فيها عباد الرحمن[139] وهو ما يفيده قوله تعالى "لم يخروا عليها صما وعميانا".

ثم يختم القرآن الكريم هذه الصفات بذكر دعائهم وتضرعهم إلى الله في طلبهم قرة العين لأنفسهم بما يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم، فهم لا يغترون بما قدموا من طاعات وما اجتنبوا من محرمات، بل يلتجئون إلى الله طالبين منه ذلك تكرما، فقال تعالى: "والَّذِينَ يقُولُونَ ربنَا هب لَنَا مِن أَزواجِنَا وذُرياتِنَا قُرةَ أَعينٍ وجعلْنَا لِلْمتقِين إِماماً" (الفرقان/74).

وهذه الآية من صفات التحلية وإنما أخرت عما سبق من صفات لأن فيها طلباً لأمر يتعلق بغير الذات من ذرية وأزواج، فبعد أن بين القرآن الكريم تحليهم بالصفات الطيبة وتخليهم عن الصفات الذميمة، بين أنهم أيضا يطلبون من الله أن يستمر ذلك بمن له صلة بهم من أزواج وذرية، وأما طلبهم إمامة المتقين فهو طلب لذاتهم، لكنه يتضمن طلب الثبات على ما أكرموا به من صفات سبق ذكرها تجعلهم قدوة للمتقين.

ونلاحظ من خلال النظر في الآيات تكرار الاسم الموصول "وإعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل القدر، حقيق بأن يفرد له موصول مستقل، ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره"[140].

والتعبير بالمضارع "يقولون" يفيد تكرار الطلب والدعاء في الحال والاستقبال، فهم لا ييأسون ولا يملون من سؤال الله إكثار الذرية الصالحة، والعون على القيام بطيب العمل الذي ينالون به الجنة، وهذه الآية تفيد جواز الدعاء بالولد طلبا للذرية الصالحة[141].

واختيار لفظ الربوبية ممن اتصفوا بالعبودية للرحمن في قولهم: "ربنا" لأن الدعاء في طلب نعمة من المنعم، وسر الإضافة وحذف أداة النداء هنا يصلح له ما ذكرته عند تفسير قوله تعالى"ربنا اصرف عنا عذاب جهنم".

والسر في التعبير بالهبة حال طلب الذرية الصالحة لأنهم فقهوا الآيات "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور" (الشورى/49)؛ فهذه النعم هبة من الوهاب سبحانه يمتن بها على من وهب، فعباد الرحمن بهذا الأسلوب يعلموننا الأدب مع الله، بنسبة ما يحل عليهم من نعمة للواهب بالرغم مما يبذلونه من جهود، وأخذ بالأسباب لتحصيلها.

و"من" في قوله "من أزواجنا" بيانية لبيان الجنس، و تقديم القرآن الأزواج على الذرية في الذكر، يعود لكونها أسبق في الوجود، فوجود الذرية مترتب عليها.

وقد قرئت "ذرياتنا" بالإفراد والجمع (ذريتنا، ذرياتنا)(142) وهما قراءتان متواترتان، فالإفراد في قراءة "ذريتنا" للدلالة على أنها كأنها شيء واحد في الصلاح، والجمع للدلالة على طلب الكثرة من الذرية الصالحة لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- "تَزوجوا الودود الْولُود فإني مكاثِر بِكُم الأمم»(143).

وانظر إلى بلاغة النظم باختيار لفظ الزوجية دون النساء في قوله"من أزواجنا" وذلك لأن الزوجية تدل على السكينة والطمأنينة(144) قال تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"(الروم/21).

والسر في سؤالهم في أن يكون أزواجهم وذرياتهم قرة أعين لهم لإعانتهم على الطاعة، فيقوى طمعهم في أن يرافقوهم في الجنة، ليتكامل سرورهم في الدنيا بهذا الطمع وفي الآخرة عند حصول الثواب(145)، فهو دعاء يتكون من شقين؛ الأول يرتبط بأسرهم من أزواج وذرية، والآخر يتعلق بأنفسهم وتقديم الدعاء للأزواج والذرية على الدعاء للنفس وهذا في غاية البلاغة لأن راحة النفس وقرة العين لا تتم إلا بمشاركة هؤلاء للإنسان بأعباء الدعوة ونعيم الجنة، فالزوجة الصالحة خير متاع الدنيا وهو ما بينه رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"(146)، ثم إن عصيانهم ومخالفتهم قد تكون من معوقات جعلهم أئمة للناس فمتى التزم الأزواج والذرية يسلم الداعية من الأذى والتعيير بهم، ويسهل استجابة الناس له.

ووجه تقديم الأزواج على الذرية في الدعاء أن الأزواج هي الأصل، والذرية فروع تترعرع في كنفها، فبصلاحها تصلح الفروع.

والمقصد من كون الأزواج والذرية "قرة الأعين" كناية عن السرور الذي يعتري عباد الرحمن بصلاح الذرية، وهو مأخوذ من القر أي البرد، فيقال: دمع السرور بارد، أو من القرار أي يقر الناظر به ولا ينظر إلى غيره(147) ولأن الأسرة عندما ترزق بالمواليد تهدأ وتقر.

وكلمة "الأعين" جمع قلة وعيون جمع كثرة، واختيار القرآن الكريم جمع القلة لأن المراد به أعين المتقين- وهم صفوة المؤمنين ونخبة الموحدين- وهي قليلة بالقياس إلى عيون غيرهم(148).

ويرى الألوسي: "أن الأعين جمع للعين الباصرة والعيون جمع للعين الجارية"(149).

وفي الاستعمال القرآني جاءت نسبة الجمع بـ"العيون" إلى الأرض؛ قال تعالى:"وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون"(يس/34)، وقوله تعالى: "وفجرنا الأرض عيونا" (القمر/12)؛ الأمر الذي يجعل قول الألوسي محتملا.

وأرى أن الأقرب لذلك ما ذكره الزمخشري والفخر الرازي، لقوله تعالى: "وقليل من عبادي الشكور" (سبأ/13)، فضلاً عن أن علماء اللغة لم يخصوا جمع عيون بالعين الجارية.

وتدل الآيات على أن عباد الرحمن قد طلبوا الإمامة للمتقين بعد طلبهم قرة العين بالأزواج والذرية، وذلك ليكونوا قدوة لهم، وفي هذا توجيه قرآني للدعاة إلى الله بتفقد ذريتهم أولا قبل الانطلاق للمجتمع بقوة.

ثم إن الداعية في كثير من الأحيان يعير من الفساق بعصيان بنيه وأهل بيته ويكون خطاب الناس أنه لو كان فيما يدعو إليه من خير لكان الأولى باتباعه أقرب الناس إليه.

ومعنى "الجعل" في قوله تعالى: "واجعلنا للمتقين إماما" التصيير من حالة إلى حالة فهم مع طاعتهم وقربهم من الله

يرون قلة أعمالهم التي تؤهلهم لأن يكونوا قدوة لغيرهم، فيطلبوا منه الزيادة في الطاعة التي تقربهم منه، وتؤهلهم لأن يكونوا قدوة للخلق؛ يقول الفخر الرازي: "قال بعضهم :في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها"(150). والذي أرجحه أن المؤمن لا يقدم نفسه للسلطة والرياسة في أمور الدين أو الدنيا إلا إذا قدمه الناس، أو طلب منه ولي الأمر ذلك، أو رأى ضرورة ملحة يطلب لأجلها تولي الرياسة، تماما كما كان طلبها نبي الله يوسف -عليه السلام- عندما رأى ضرورة وجوده في الرياسة، وتقديم المتقين في الخطاب على لفظ الإمامة للدلالة على شرف المتقين، وعلو منزلتهم. والمتقون لفظ مأخوذ من الاتقاء والوقاية: البعد أو التباعد عن المضر أو مدافعته، واتقاء الله يعني اتقاء عذابه وعقابه، ومدافعة عذاب الله تكون باجتناب ما نهى واتباع ما أمر، فالمتقي هو الذي يحمي نفسه من العقاب(151) والتقوى أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر(152).

وخُص المتقون بالذكر لأنهم أعلى المؤمنين منزلة؛ فإذا طلب عباد الرحمن من الله أن يقتدي بهم من كان هذا حاله في الطاعة فهذا يدل على مدى حرصهم على المنافسة في التسابق إلى فعل الطاعات.

والإمام أصله المثال والقالب الذي يصنع على شكله مصنوع من مثله، وأطلق الإمام على القدوة تشبيها بالمثال والقالب(153).

وهذا الطلب للإمامة لا يدل على أن طلبهم للجاه والسمعة والسلطان من أجل الدنيا، فهم لم يطلبوا ما طلبوا لعرض دنيوي وإنما كان ذلك طلبا لعلو المنزلة عند الله "حتى يكونوا أسوة في الطريق إلى الله... وبذلك لهم ثوابهم وثواب من اقتدى بهم"(154).

وفي سر الإفراد للإمام ما يدل على "اتحاد ما صدر عنهم"(155) أو على معنى "اجعل كل واحد منا إماما"(156).

ومع جمال ما ذكره أهل التفسير في ذلك فأرى أن هنالك علة أخرى يمكن أن نضيفها، وهي الدلالة على الوحدة والتماسك الذي ينبغي أن يكون بين اتباع المرسلين، فكأنهم إمام واحد في شدة تماسكهم وترابطهم، فالكتب التي تزودوا منها نزلت من مشكاة واحدة مصدرها الله، والهدى الذي يدعو إليه المتقون واحد، فلما اتحد الهدف واتحد المصدر الذي يستقون منه كانوا كأنهم إمام واحد يقتدي به الخلق، تماما كما قال تعالى في توحيد الكتب: "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب" (البقرة/213)، فأفرد الكتاب للدلالة على وحدة المصدر.

وبعد ذكر القرآن لهذين الصنفين من الصفات -تحلية وتخلية - بين الله الجزاء الذي يستحقه من وصف بتلك الصفات الجليلة في قوله سبحانه: ﴿أولـٰئك يجزون الغُرفةَ بِما صبروا ويلقون فِيها تَحِيةً وسلاماً. خَالِدين فِيها حسنَتْ مستَقَراً ومقَاماً﴾(الفرقان/74-75).

والإشارة بـ"أولئك" لجميع الموصوفين بتلك الصفات السابقة، باختيار القرآن الكريم لاسم الإشارة الذي للبعيد "أولئك "دلالة على علو منزلة من اتصف بتلك الصفات وارتفاع مكانتهم عند ربهم(157).

ومعنى الجزاء:دفع شيء عوضا عن عمل، وهو بخلاف العطاء :فالعطاء اسم لما يعطى ويتفضل به دون عوض، وحين قال الله تعالى في ما أعده للمتقين في سورة النبأ "جزاء من ربك عطاء حسابا" (النبأ/36) للإشارة إلى أن ما جوزوا به أوفر مما عملوا(158)، ولعله قد اتضح بذلك سر التعبير بالجزاء بدلا من العطاء هنا في سورة الفرقان، فهي الإشارة إلى أن عباد الرحمن قدموا ما يجعلهم جديرين بالجنان جزاء ما تحلوا به من صفات وما قاموا به من أعمال.

والتعبير بالمضارع "يجزون" للدلالة على التجدد فهو نعيم متجدد لا ينقطع يكرمون به في مستقبل الزمان بعد الرجوع للرحمن تبارك وتعالى.

وقد بني الفعل "يجزون" للمجهول لأن المقصود إظهار الجزاء(159).

وهذا الأسلوب في بناء الفعل للمجهول نجده في كثير من آيات القرآن الكريم للتركيز على الحدث كي لا يتم الانشغال بالفاعل عن الفعل، وكذلك لأن الفاعل معلوم ضمنا من السياق، فلا يملك أحد الجزاء في ذلك اليوم إلا الله سبحانه وتعالى.

والغرفة: أعلى مكان في الجنة وهي من البيت أعلى موضع منه(160)، وهي مفرد غرفات؛ قال تعالى "وهم في الغرفات آمنون "(سبأ/37)، وإنما أفردت الغرفة لأن المراد

بها المنزلة وفيه أيضا دلالة على أنها غرف وإن تعددت إلا أنها على درجة واحدة عالية من الإتقان، فقد اتقن البناء كأنه بنيان واحد وإن تعددت منازل أهله، وهذا يدل أيضا على صفاء حال سكانها ونقاء قلوبهم، كأنهم لألفتهم يعيشون في غرفة واحدة، فقد نزع من قلوبهم الغل والحقد والشحناء "ونزعنا ما في قلوبهم من غل إخوانا على سرر متقابلين" (الحجر/47).

يقول الألوسي في سر الإفراد هنا والجمع في سورة سبأ في قوله تعالى: "إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف وهم في الغرفات آمنون "(سبأ/37): "وإيثار الجمع هناك لأنها رتبت على الإيمان والعمل الصالح، ولا خفاء في تفاوت الناس فيها وعلى ذلك تتفاوت الأجزية، وها هنا رتب على مجموع الأوصاف الكاملة فلذا جيء بالواحد دلالة على أن الغرف لا تتفاوت"(161).

وفي سبأ جاءت قراءتان متواترتان في الجمع والإفراد(162) وقد أشار الألوسي لحكمة الجمع، أما قراءة الإفراد فإن فيها إشارة إلى أنهم وإن اختلفت منازلهم لاختلاف أعمالهم إلا أنها يشبه بعضها بعضا من حيث الرقي والرفعة والسمو وكأنها شيء واحد، ثم إنه جاء التعبير القرآني في الآية من سورة سبأ عن الإيمان والعمل بصيغة الإفراد أيضا "من آمن وعمل صالحا" فأفادنا ذلك التعبير أن كل فرد يستحق غرفة تتناسب مع طبيعة عمله.

ومعنى الباء في قوله (بما صبروا) للسببية(163).

والصبر هو: ضبط النفس وحبسها بقهر دواعي هوى النفس، و يتواصل إليه بدوام الصبر(164).

وخص الصبر بالذكر مرتبطا بالباء التي للسببية لأن كل الصفات السابقة مبنية على الصبر، فأداء الطاعة بحاجة إلى صبر وترك المعصية بحاجة إلى صبر.

وعدم تحديد المصبور عليه يفيد التعميم فيشمل تحليهم بجميع أنواع الصبر من صبر على المقدر، وصبر على المأمور، وصبر عن المحذور"فالقرآن لم يذكر متعلق الصبر ليعم ما سلف من عبادتهم فعلا وتركا وغيره من أنواع الصبر"(165).

وعلل الجزاء بسبب الصبر لما له من أهمية في حياة عباد الرحمن "فلولا الصبر لانحلت عزائمهم، وفترت همتهم، واختل توازنهم على الصراط المستقيم؛ فالصبر هو زاد المؤمن على طريق الإيمان، وهو القوة التي تشده إلى الله وتمسك به على طريق الحق والخير"(166).

ولما كانت المعيشة الطيبة لا يكفي لها السكن الطيب الجميل من غير تعامل حسن وخطاب طيب من المجاورين والعاملين فيه أتبعه القرآن ببيان حسن الخطاب الذي يستمعونه فيها فقال "ويلقون فيها تحية وسلاما".

وفي "يلقون" جاءت قراءتان متواترتان "فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف(167)، ولم أجد من خلال بحثي حسب طاقتي وجهدي من فرق من المفسرين بين القراءتين إلا القول إن إحداهما بنيت للمفعول، والأخرى للفاعل.

والذي أميل إليه أن قراءة البناء للمفعول حذفت الفاعل للتركيز على بيان ما ينتظر هذه الصفوة الطاهرة من تحية وسلام في دار إقامتهم لاسيما وقد تعدد الفاعل فالسلام يلقى إليهم من الله، ومن الملائكة، ومن بعضهم بعضا، وأما قراءة البناء للفاعل فللدلالة على أن التحية والسلام في الجنة شيء ثابت تجده كل طائفة من هذه الصفوة في كل منزل من منازلها.

وسر العطف بين التحية والسلام للتغاير والاشتراك، أما التغاير فلأن التحية هي الدعاء بالتعمير وأما السلام فهو دعاء بالسلامة(168)، فالتحية تفعلة من الحياة بمعنى البقاء في الحياة، وأما السلام فهو البراءة من كل مكروه(169)، وأما الاشتراك فلكونهما يشتركان في أنهما إكرام لأهل الجنة .

ويصح أن يكون المراد بالتحية إكرام الله لهم بالهداية، والسلام: سلامه عليهم بالقول(170).

والمقصود من الدعاء بالسلامة وهو متحقق أصلا من دخول الجنة والتكريم وإلقاء السرور والمؤانسة(171).

وتنكير التحية والسلام يفيد التعميم ليشمل تحية وسلاماً من الله والملائكة لهم وتحية بعضهم لبعض، بدليل قوله تعالى:"سلام قولا من رب رحيم" (يس/58).

وقوله تعالى: "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم" (الرعد/24)

ولما وعد الله سبحانه عباد الرحمن بالمنافع أولا في قوله

"أولئك يجزون الغرفة" والتعظيم ثانيا بقوله: "ويلقون فيها تحية وسلاما"بين أن من صفتها الدوام وهو المراد من قوله (خالدين فيها)أي دائمين في الجنة[172].

ومن صفاتها الخلو من الشوائب وهو المراد من قوله "حسنت مستقرا ومقاما"[173].

ونرى المقابلة اللطيفة بين حال أهل جهنم وحال أهل الجنة، فهناك ساءت مستقرا ومقاما وهنا حسن المستقر والمقام[174].

والمراد بالحسن في قوله "حسنت": هو كل مبهج مرغوب فيه[175].

والسر في العطف بين المستقر والمقام للدلالة على التغاير بين المستقر والمقام مع أن كليهما موصوف بالحسن "فيلازمها وصف الحسن العظيم سواء أكانت مستقراً لأهلها الذين أتوا لملكها، ومقاما لزوارها من أهل درجات مرتبة المتقين في الجنة"[176]، فما أجملها من دار إقامة وما أحسنها دار مستقر، فالخلود فيها لا يعتريه كلل، والإقامة فيها سالمة من الملال.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمــة

إن القرآن الكريم كتاب هداية ومنبع نور اقترن بدقة بيانية وبلاغة يعجز عن مباراتهما الثقلان، ومن ذلك الآيات التي جاءت في أواخر سورة الفرقان متحدثة عن صفات عباد الرحمن وهي موضوع الدراسة في هذا البحث، وقد توصلت من خلاله إلى النتائج التالية:

1- ان الله عز وجل قد خص عباد الرحمن في هذه الآيات بإحدى عشرة صفة؛ هي التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف من عذاب الله، وترك الإسراف والتقتير، والنزاهة عن الشرك والزنا والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله[177] والصبر الذي هو قوام التحلي بها، وهذه السمات هي جماع الصفات وكل ما سواها يعود إليها.
2- الانتساب بالعبودية للرحمن شرف يعلو به الإنسان ويكرم به في الجنان.
3- الحرص على الرياسة الدينية أمر قد يكون مطلوباً شرعاً مرغوباً فيه في بعض الأحيان ما دام هم طالبه رضا رب العالمين فيكون بذلك قدوة للمؤمنين في حسن السلوك والتصرف والخطاب.
4- ان هذه الآيات من سورة الفرقان كسائر سور القرآن وآياته أحيطت بدقة بيانية عالية وبلاغة سامية، يعجز عن مضاهاتهما البشر مهما أوتوا من بلاغة وفصاحة.
5- يرشدنا القرآن الكريم، وهو يقدم تعامل عباد الرحمن مع الناس بالذكر في مشيهم وخطابهم على تعاملهم مع الله بالبيتوتة له بالسجود، يرشدنا إلى أن هذا الدين ليس مجرد صلاة وصيام وزكاة وحج فحسب، بل هو أيضا حسن خلق وتعامل مع الناس يجب أن تجسده هذه العبادات في واقع الحياة.
6- ان القرآن الكريم يذم الإسراف والتقتير، لكنه يقدم ذم الإسراف في هذه الآيات أولا، وذلك لأن ضرره على المجتمع أكبر، وخطره على الناس أشد، فسرف المال يسرع بذهابه بما يصعب إعادته بعد ذلك، بخلاف الإمساك فهو حفظ له يمكّن من إنفاقه في مستقبل الزمان، وإن وقع التقصير في بذله في سالف الزمان.

الهوامش

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، صحيح مسلم، (63/1).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، صحيح مسلم، (50/1).

(3) الطبراني، المعجم الكبير، (158/11). أسباب النزول، النيسابوري، ص193؛ وانظر العك، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، (ص251).

(4) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (104/1).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (67/13)؛ وانظر حجازي، التفسير الواضح، (735/2)؛ وانظر أبا السعود، إرشاد العقل السليم، (228/6)؛ وانظر الألوسي روح المعاني (51/19)؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (66/13)؛ وانظر مغنية، التفسير الكاشف، (481/5).

(6) قطب، في ظلال القرآن، (181/6).

(7) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (334/5).

(8) حوى، الأساس في التفسير، (3878/7).

(9) انظر الزمخشري، الكشاف، (303/3)؛ وانظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، (101/12)؛ وانظر حجازي، التفسير الواضح، (741/2)؛ وانظر قطب، في ظلال القرآن الكريم، (181/6)؛ وانظر حوى، الأساس في التفسير، (3883/7).

(10) البقاعي، نظم الدرر، (343/5).

(11) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (108/2).

(12) أبوحيان، البحر المحيط في التفسير، (124/8).

(13) حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (603/6).

(14) انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (218/4).

(15) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (542).

(16) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، (64/11).

(17) الألوسي، روح المعاني، (63/11).

(18) انظر شعراوي، تفسير الشعراوي، (10498/17).

(19) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (124/8).

(20) أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، (22/6).

(21) عبد الرحمن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (604/6).

(22) انظر الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، (63/11).

(23) البيهقي، الأسماء والصفات، ص70.

(24) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (187/20)؛ وانظر ابراهيم مصطفى وزملاءه، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا، (872/2).

(25) الألوسي، روح المعاني، (65/11).

(26) ابن عطية، المحرر الوجيز، (218/4)؛ وانظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، (69/13).

(27) أبو حيان، البحر المحيط (126/8).

(28) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، في هدي الرجل، سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث، (267/2).

(29) عباس، إعجاز القرآن الكريم، (146).

(30) انظر المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، (ص161)؛ وانظر المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، (ص186)؛ وانظر عبد الجواد، حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، (ص168).

(31) الكفوي، الكليات، ص418.

(32) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، (246/7).

(33) انظر الزمخشري، الكشاف، (99/3).

(34) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (55/10).

(35) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (109/12).

(36) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (494/2).

(37) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (51/5).

(38) انظر: الحسيني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (148/5).

(39) الرازي، التفسير الكبير، (109/8).

(40) أبو حيان، البحر المحيط، (127/8)؛ وانظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (219/4).

(41) حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر (621/6).

(42) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (56/10).

(43) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، (ص260).

(44) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (658/1).

(45) الكفوي، الكليات، (ص729).

(46) أبوحيان، البحر المحيط، (127/8)؛ وانظر الآلوسي، روح المعاني، (66/11).

(47) انظر الزمخشري، الكشاف، (105/3)؛ وانظر النسفي، تفسير النسفي، (174/4)؛ وانظر أبا حيان، البحر المحيط، (128/8).

(48) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، صحيح مسلم، (406/1).

(49) انظر الألوسي، روح المعاني، (66/11).

(50) حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (622/6).

(51) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (105/10).

(52) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (482)

(53) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص554).

(54) حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (622/6).

(55) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (72/13)؛ وانظر الفراء، معاني القرآن، (272)؛ وانظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (219/4)، وانظر الشنقيطي، أضواء البيان، (235/6).

(56) الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، (272/2).

(57) أبو حيان، البحر المحيط، (128/8).

(58) الفخر، التفسير الكبير، (110/12).

(59) انظر الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، (717/5)؛ وانظر مصطفى وزملاءه، المعجم الوسيط، (725/2).

(60) انظر ابن منظور، لسان العرب (100/11)؛ وانظر الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، (386/17).

(61) الفخر، التفسير الكبير (110/12).

(62) حبنكة، معارج التفكير ودلائل التدبير، (623/6).

(63) الألوسي، روح المعاني (66/11).

(64) انظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ص92)؛ وانظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص396.

(65) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (52/5).

(66) أبو حيان، البحر المحيط، (128/4).

(67) الكرجي، نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، (516/3).

(68) فقرأ ابن عامر ونافع وأبوجعفر بضم الياء وكسر التاء وقرأ ابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم التاء. انظر الدمشقي، النشر في القراءات العشر، (334/2)؛ وانظر بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، (351/5).

(69) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (84/4).

(70) انظر الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (236/6).

(71) انظر الآلوسي، روح المعاني، (68/11).

(72) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبدالله بن مسعود، أحمد ابن حنبل، المسند، (446/1). قال ابن حجر: وفيه إبراهيم الهجري وهو لين الحديث، انظر ابن حجر، تقريب التهذيب، 94. قد حسنه العجلوني بالشواهد الكثيرة الواردة بمعناه، انظر إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، (179/1).

(73) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (57/10).

(74) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (72/19).

(75) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (75/13).

(76) الألوسي، روح المعاني، (71/11).

(77) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (73/19).

(78) انظر الرازي، التفسير الكبير، (112/12).

(79) الطبرسي، مجمع البيان، (247/7).

(80) حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (631/6).

(81) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر" فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (422/13).

(82) انظر الطبرسي، مجمع البيان، (247/7)؛ وانظر الألوسي، روح المعاني، (70/11).

(83) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (75/13).

(84) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص655).

(85) الرازي، التفسير الكبير، (112/12).

(86) الآلوسي، روح المعاني، (7/11).

(87) انظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (108/19).

(88) انظر المراغي، علوم البلاغة، (ص149).

(89) انظر أبا يحيى زكريا الأنصاري، فتح الوهاب بشرح منهاج الطلاب، (56/2)؛ وانظر الدردير، الشرح الصغير مطبوع مع حاشية بلغة السالك، (421/2).

(90) انظر الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (26/6).

(91) أبو حيان، البحر المحيط، (130/8).

(92) انظر مصطفى، المعجم الوسيط، (836/2).

(93) انظر الرازي، التفسير الكبير، (112/12).

(94) الكفوي، الكليات، (ص40).

(95) المرجع السابق، (ص574).

(96) حبنكة، معارج التفكر، (664/6).

(97) الألوسي، روح المعاني، (71/11)؛ وانظر أبا حيان، البحر المحيط، (130/8)؛ وانظر الرازي، التفسير الكبير، (112/12)؛ وانظر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (تفسير الخازن)، (356/3).

(98) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب بيان نقص الإيمان بالمعاصي، (48/1).

(99) الشعراوي، التفسير، (10513/17).

(100) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (332/2).

(101) ابن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، (352/5).

(102) ابن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، (352/5).

(103) أبو حيان، البحر المحيط، (131/8)؛ وانظر الشنقيطي، أضواء البيان، (88/4).

(104) انظر الطبرسي، مجمع البيان، (248/7).

(105) انظر البقاعي، نظم الدرر، (339/5).

(106) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (131/8).

(107) ابن عطية، المحرر الوجيز، (221/4).

(108) انظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (34/4-35)؛ وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (76/19).

(109) انظر الألوسي، روح المعاني، (73/11).

(110) البيهقي، شعب الإيمان، (36/1).

(111) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص348، ص383)؛ وانظر حمادة، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، (202).

(112) الخطيب، التفسير القرآني، (59/10).

(113) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، (184/1).

(114) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (209/2).

(115) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (131/8)؛ وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، (26/6).

(116) أخرجه أحمد في المسند، مسند الإمام أحمد، (152/5)؛ أخرجه الترمذي في الجامع، (355/4)، وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (121/1)، وقال صحيح على شرط الشيخين.

(117) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، صحيح مسلم، (43/2).

(118) انظر البقاعي، نظم الدرر، (338/5).

(119) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص235).

(120) الرازي، التفسير الكبير، (112/12)؛ وانظر البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، (251/4).

(121) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (79/13).

(122) انظر الطبرسي، مجمع البيان، (249/7).

(123) الألوسي، روح المعاني، (75/11)؛ وانظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، (114/12).

(124) أخرجه أحمد في المسند، مسند أحمد، (43/2) وقد صححه العجلوني، انظر العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، (552/1).

(125) الألوسي، روح المعاني، (76/11).

(126) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (272).

(127) أبو حيان، البحر المحيط، (132/8).

(128) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (79/19).

(129) الطبرسي، مجمع البيان، (250/7).

(130) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (80/13)؛ وانظر الفخر، التفسير الكبير، (114/12).

(131) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (60/10)؛ وانظر الطبرسي، مجمع البيان، (249/7).

(132) الخطيب، التفسير القرآني، (61/10).

(133) الكفوي، الكليات، (ص436)

(134) أبو حيان، البحر المحيط، (132/8)؛ وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (439/3)؛ وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (80/19).

(135) انظر الألوسي، روح المعاني، (77/11).

(136) الفخر، التفسير الكبير، (115/12)

(137) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص492،ص588).

(138) أبو السعود، تفسير أبي السعود، (231/6).

(139) حبنكة، معارج التدبر ودقائق التفكر، (667/6).

(140) الألوسي، روح المعاني، (79/11).

(141) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (82/13).

(142) فقرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب وابن عامر وحفص عن عاصم بالألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف على الإفراد. انظر: الجزري، النشر في القراءات العشر، (335/2).

(143) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزوج من لم يلد من النساء، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، (220/2)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (176/2) وقال حديث صحيح.

(144) بنت الشاطىء، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص230.

(145) انظر الرازي، التفسير الكبير، (115/12).

(146) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، صحيح مسلم، (625/1). وأخرجه النسائي في كتاب النكاح، باب المرأة الصالحة، سنن النسائي بشرح السيوطي، جلال الدين السيوطي، (69/6).

(147) أبو حيان، البحر، (133/8).

(148) انظر الزمخشري، الكشاف، (102/3)؛ وانظر الرازي، التفسير الكبير، (116/12).

(149) الآلوسي، روح المعاني، (78/11).

(150) الرازي، التفسير الكبير، (116/12).

(151) انظر رضا، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، (124/1).

(152) انظر عباس، خماسيات مختارة، (ص73).

(153) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (76/19).

(154) الخطيب، التفسير القرآني، (62/10).

(155) الألوسي، روح المعاني، (87/11)؛ وانظر الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، (168/3).

(156) أبو حيان، البحر المحيط، (134/8).

(157) انظر حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (667/6).

(158) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (46/30).

(159) انظر البقاعي، نظم الدرر، (342/5).

(160) البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، (251/4)؛ وانظر الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (63/10).

(161) الألوسي، روح المعاني، (79/11).

(162) قرأ حمزة في الغرفة بإسكان الراء من غير ألف على التوحيد، وقرأ الباقون بضمها مع الألف على الجمع. انظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (351/2).

(163) أبو حيان، البحر المحيط، (134/8).

(164) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (67/4).

(165) الألوسي، روح المعاني، (79/11).

(166) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (63/10).

(167) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (335/2).

(168) أبو حيان، البحر، (134/8).

(169) حبنكة، معارج التفكر ودلائل التدبر، (669/6).
(170) انظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (59/5).
(171) انظر الألوسي، روح المعاني، (80/11).
(172) السمرقندي، تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، (468/2).
(173) انظر الرازي، التفسير الكبير، (117/12).
(174) انظر الصابوني، صفوة التفاسير، (372/2).
(175) الأصفهاني، مفردات ألفاظ غريب القرآن، (235).
(176) حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (669/6).
(177) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (83/13).

المصادر والمراجع

ابن الأشعث، سليمان، سنن أبي داوود، سليمان دار الفكر، بيروت.

ابن حجر، أحمد، تقريب التهذيب، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حجر، أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار التراث العربي، بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984م، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس.

ابن عبد الغفار، أبو علي، 1992م، الحجة للقراء السبعة، دار المأمون، دمشق، ط1.

ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عقيل، شرح على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية بيروت، 1992م.

أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت

الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت.

الأنصاري، أبو يحيى، فتح الوهاب بشرح منهاج الطلاب، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر 1948م

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، 2004م، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

البغوي، أبو محمد الحسين، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت.

البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت.

بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة.

البيهقي، أبو بكر أحمد، الأسماء والصفات، دار الكتب العلمية، بيروت.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

الترمذي، أبو عيسى محمد، الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، دار إحياء التراث، بيروت

الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المكتبة العصرية، بيروت.

الجوزي، أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر، بيروت

حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل، بيروت.

الحسيني، أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2002م

حمادة، نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية.

حوى، سعيد، 1998م، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت.

الخازن، علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، دار الفكر، بيروت.

الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر، بيروت.

الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

الدردير، أحمد، الشرح الصغير مطبوع مع حاشية بلغة السالك، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1952م.

الدمشقي، أبو الخير محمد، النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار الفكر، بيروت.

الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، دار الفكر، بيروت.

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، 1992م.

رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، دار الفكر، بيروت.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، 1994م.

الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق.

الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت.

الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فيوجوه التأويل، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1997م.

السمرقندي، أبو الليث، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي بشرح السيوطي، دار الجيل، بيروت.

الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة.

الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

الشوكاني، محمد علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت.

الطبرسي، أبو علي الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

الطبراني، أبو القاسم سليمان، المعجم الكبير، دار إحياء التراث، بيروت.

عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان.

عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، عمان.

عباس، فضل حسن، 1994م، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، دار البشير عمان، ط1.

عبد الجواد، ذياب، حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دار المنار، القاهرة.

العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت.

العك، خالد عبد الرحمن، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت

العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت

الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، محمد دار المعرفة، بيروت.

الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980م.

الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.

القرطبي، أبوعبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث، بيروت.

القنوجي، أبو الطيب صديق، 1999م، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكرجي، محمد بن علي، نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، دار ابن القيم، الدمام، 2003م.

الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1963م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار إحياء التراث، بيروت.

المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، دار العلم، دمشق.

المراغي، أحمد، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت.

مسلم، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت.

مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا.

مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت.

الميداني، عبد الرحمن حبنكه، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق.

النسفي، عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م

النيسابوري، أبو الحسن، أسباب النزول، المكتبة الثقافية، بيروت.

The Attributes of the Servants of Allah in Surat Al-Furqan: A Rhetorical Study

*Nayel M. Abu Zaid**

ABSTRACT

This study tackles the attributes of the servants of Allah, as mentioned in the Holy Quran in Surat Al-Furqan, from a rhetorical perspective. The research explicates the beauty and intricacy of the Quranic statements that express those attributes. The Holy Quran starts praising these servants by reciting the positive attributes, following them with the negative attributes which should be avoided. Moreover, the research pinpoints the rhetorical veracity and eloquency at its supreme levels; a matter that helps to uncover and describe the rhetorical aspects of the Holy Quran.

---

* Faculty of Sharia', Mu'tah University, Al-Karak, Jordan. Received on 4/7/2005 and Accepted for Publication on 21/12/2005

---

1 - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الاسلام يهدم ما قبله، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت (63/1)،

2 - أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (50/1)

3 - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، دار إحياء التراث، بيروت، (158/11)
أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، المكتبة الثقافية، بيروت، ص193
وانظر خالد عبد الرحمن العك، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت، (ص251)

4- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار الفكر، بيروت، (104/1)

5 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (67/13)
وانظر محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، (735/2)
وانظر أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (228/6) وانظر الآلوسي روح المعاني، (51/19)
وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، (66/13)
وانظر محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، (481/5)

6 - سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (181/6)

7 - برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، (334/5)

8 - سعيد حوى الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ط1، (3878/7)

9 - انظر الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1997، (303/3)
وانظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، (101/12)
وانظر محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، (741/2
وانظر سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، (181/6)
وانظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، (3883/7)

10 - البقاعي، نظم الدرر، (343/5)

11 - محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، (108/2)

12 - انظر أبوحيان، البحر المحيط في التفسير، (124/8

13 - عبد الرحمن حبنكه الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، (603/6)

14 - انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (218/4)

15 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، 1992، (542)

16 - محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، (64/11)

17 - الألوسي، روح المعاني، (63/11)

18 - انظر محمد متولي شعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، (10498/17)

19 - انظر محمد بن يوسف(أبو حيان)، البحر المحيط في التفسير، ، دار الفكر، بيروت، (124/8)

20 - أبو الفرج جمال عبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر، بيروت، 1987، (22/6)

21 عبد الرحمن حبنكه، معارج التفكر ودقائق التدبر، (604/6)

22 - انظر محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، (63/11)

23 - أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ص70

24 - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، 1994، (187/20)
وانظر ابراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا، (872/2)

25 - الآلوسي، روح المعاني، (65/11)

26 - ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت، (218/4)
وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (69/13)

27 - أبو حيان، البحر المحيط (126/8)

28 - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، في هدي الرجل، سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث، دار الفكر، بيروت، (267/2)

29 - د فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، (146)

30 - انظر أحمد المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص161)
وانظر أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، دار العلم، دمشق، (ص186)

وانظر د ذياب عبد الجواد ،حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي ،دار المنار ،القاهرة، (ص168)

[31] -أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ،الكليات معجم في مصطلحات الفروق اللغوية،مؤسسة الرسالة بيروت ،ط3 ،1993،ص418

32 -انظر أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ،مجمع البيان في تفسير القرآن،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1997،(246/7)

33 -انظر الزمخشري ،الكشاف ،(99/3)

34 - انظر :عبد الكريم الخطيب ،التفسير القرآني للقرآن ،(55/10)

35 -انظر :الرازي ،التفسير الكبير ،(109/12)

36 -عبد الرحمن مخلوف الثعالبي،الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،المكتبة العصرية ،بيروت ،(494/2)

37 -أبو الطيب صديق حسن القنوجي ،فتح البيان في مقاصد القرآن ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1999،(51/5)

38 -انظر :أبو العباس أحمد بن محمد الحسيني،،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 2002،(148/5)

39 -الرازي ،التفسير الكبير ،(109/8)

40 - انظر :أبو حيان ،البحر المحيط،(127/8)

وانظر ابن عطية ،المحرر الوجيز ،(219/4)

41 - عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكر ودقائق التدبر،(621/6)

42 -عبد الكريم الخطيب ،التفسير القرآني للقرآن ،(56/10)

43 -محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ،دار الفكر ،بيروت ،(ص260)

44 -وهبة الزحيلي ،الفقه الإسلامي وأدلته ،دار الفكر ،بيروت ،(658/1)

45 -أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ،الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1963م،(ص729)

46 -أبوحيان ،البحر المحيط ،(127/8)

وانظر الآلوسي ،روح المعاني،(66/11)

47 -انظر الزمخشري ،الكشاف ،(105/3)

وانظر عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1988،(174/4)

وانظر أبو حيان ،البحر المحيط ،(128/8)

48-أخرجه مسلم في كتاب الزكاة،باب قبول الصدقة من الكسب الطيب،صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج،(406/1)

49 -انظر الألوسي،روح المعاني ،(66/11)

50 -عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكر ودقائق التدبر ،دار الفكر ،بيروت،(622/6)

51 أخرجه البخاري في كتاب المرضى ،باب تمني المريض الموت ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،أحمد بن حجر ،دار التراث العربي ،بيروت ،(105/10)

52 -الراغب الأصفهاني ،مفردات الفاظ القرآن،(482)

53 -الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن،(ص554)

54 -عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكر ودقائق التدبر،(622/6)

55 -محمد بن أحمد القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،(72/13)

وانظر يحيى بن زياد الفراء،معاني القرآن ،عالم الكتب ،بيروت ،ط2 ،1980،(272)

وانظر ابن عطية ،المحرر الوجيز ،(219/4) ،وانظر الشنقيطي ،أضواء البيان ،(235/6)

56 -يحيى بن زكريا الفراء ،معاني القرآن ،عالم الكتب ،بيروت ،(272/2)

57 -انظر أبي حيان ،البحر المحيط،(128/8)

58 -الفخر ،التفسير الكبير،(110/12)

[59] -انظر محمد مرتضى الزبيدي ،تاج العروس في جواهر القاموس ،دار الفكر بيروت ،(717/5)

وانظر إبراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط ،دار الدعوة،تركيا، (725/2)

[60] - انظر محمد بن مكرم بن منظور ،لسان العرب ،،دار إحياء التراث ،بيروت ،(100/11)

وانظر محمد مرتضى الزبيدي ،تاج العروس في جواهر القاموس ،دار الفكر بيروت ،(386/17)

61 -الفخر ،التفسير الكبير ،(110/12)

62 -عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكير ودلائل التدبير،(623/6)

63 -الآلوسي،روح المعاني (66/11)

64-انظر محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة،مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت،(ص92)
وانظر د فضل حسن عباس ،البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)،دار الفرقان ،عمان،ص396

65 أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن،دار الكتب العلمية،بيروت،(52/5)

66 -أبو حيان، البحر المحيط ،(128/4)

67 -محمد بن علي الكرجي ،نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ،دار ابن القيم ،الدمام ،2003م، (516/3)

- فقرأ ابن عامر ونافع وأبوجعفر بضم الياء وكسر التاء وقرأ ابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء وقرأ الباقون بفتح الياء 68
وضم التاء،انظر أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ،النشر في القراءات العشر ،دار الفكر ،بيروت ،(334/2) وانظر أبو علي الحسن بن عبد الغفار ،الحجة للقراء السبعة، دار المأمون ،دمشق ،(351/5)

69 -محمد علي الشوكاني،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،(84/4)

70 -انظر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،(236/6)

71 - انظر الآلوسي ،روح المعاني ،(68/11)

72-أخرجه أحمد في المسند ،مسند عبدالله بن مسعود ،أحمد ابن حنبل ،المسند،دار الفكر ،بيروت ،(446/1)
قال ابن حجر : وفيه إبراهيم الهجري وهو لين الحديث، أنظر أحمد ابن حجر، تقريب التهذيب،دار الكتب العلمية،بيروت ،ص94
قد حسنه العجلوني بالشواهد الكثيرة الواردة بمعناه، أنظر إسماعيل بن محمد العجلوني ،كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، (179/1)

73 -عبد الكريم الخطيب ،التفسير القرآني للقرآن ،(57/10)

[74] -ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،(72/19)

75 -القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،(75/13)

76 -الآلوسي ،روح المعاني ،(71/11)

[77] -ابن عا شور، التحرير والتنوير(73/19)

78 -انظر الرازي ،التفسير الكبير ،(112/12)

79 -الطبرسي ،مجمع البيان ،(247/7)

80 -عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكر ودقاءق التدبر،(631/6)

81 - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ،باب قوله"والذين لا يدعون مع الله إلها آخر",فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت،(422/13)

82 - انظر الطبرسي ،مجمع البيان ،(247/7)
وانظر الآلوسي،روح المعاني ،(70/11)

83 -القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،(75/13)

84 -الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،(ص655)

85 الفخر الرازي ،التفسير الكبير ،(112/12)

86 -الآلوسي،روح المعاني،(7/11)

87 - انظر : وهبة الزحيلي ،التفسير المنير في العقيدية والشريعة والمنهج ،دار الفكر ،دمشق ،(108/19)

88 -انظر أحمد مصطفى المراغي ،علوم البلاغة،(ص149)

[89] - انظر /أبويحيى زكريا الأنصاري ،فتح الوهاب بشرح منهاج الطلاب ،مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ،مصر،1948م،(56/2)
وانظر أحمد بن محمد الدردير ،الشرح الصغير مطبوع مع حاشية بلغة السالك، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ،مصر،1952م،(421/2)

90 -انظر وهبة الزحيلي ،الفقه الإسلامي وأدلته، 26/6)

91 -أبو حيان ،البحر المحيط ،(130/8)

92- انظر إبراهيم مصطفى ،المعجم الوسيط ،دار الدعوة ،استنبول،(836/2)

93 -انظر الفخر الرازي ،التفسير الكبير،(112/12)

94 - أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ،الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،(ص40)

---

95 -نفس المرجع السابق،(ص574)

96 -عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكر ،(664/6)

97 -الآلوسي،روح المعاني ،(71/11) وانظر أبوحيان،البحلار المحيط ،(130/8)
وانظر الفخر الرازي ،التفسير الكبير،(112/12)
وانظر علي بن محمد الخازن ،لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)،دار الفكر ،بيروت ،(356/3)

98 أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب بيان نقص الأيمان بالمعاصي،مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم،(48/1)

99 -محمد متولي ،تفسير الشعراوي ،(10513/17)

100 - ابن الجزري ،النشر في القراءات العشر ،(332/2)

101 -أبوعلي الحسن بن عبد الغفار،الحجة للقراء السبعة ،(352/5)

102 انظر أبوعلي الحسن بن عبد الغفار،الحجة للقراء السبعة ،(352/5)

103 -أبو حيان ،البحر المحيط،(131/8) ،وانظر / محمد الشنقيطي ،أضواء البيان ،(88/4)

104 -ا نظر الطبرسي ،مجمع البيان ،(248/7)

105-انظر أبو الحسن البقاعي ،نظم الدرر ،(339/5)

106 - انظر أبو حيان ،البحر المحيط في التفسير،(131/8)

107 -ابن عطية ،المحرر الوجيز (221/4)

108 - انظر الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين ،(34/4-35)
وانظر ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،(76/19)

109 - انظر الآلوسي ،روح المعاني ،(73/11)

110 -أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ،شعب الإيمان ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1990،(36/1)

111-الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)،مفردات ألفاظ القرآن ،(ص348، ص383)
وانظر نزيه حماده ،معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،الولايات المتحدة الأمريكية،(202)

112 -عبد الكريم الخطيب التفسير القرآني ،(59/10)

113 -أبو محمد عبد الله بن يوسف (ابن هشام)،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،المكتبة العصرية ،بيروت ،1992،(184/1)

114 - ابن عقيل ،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،المكتبة العصرية ،بيروت ،1995(209/2)

115-انظر القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،(131/8)
وانظر ابن الجوزي ،زاد المسير ،(26/6)

116 - أخرجه أحمد في المسند،مسند الإمام أحمد،أحمد بن حنبل،دار الفكر ،بيروت،(152/5)
و أخرجه الترمذي في الجامع (355/4) وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (121/1) ،وقال صحيح على شرط الشيخين

117 -أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ،باب أدنى أهل الجنة منزلة ،صحيح مسلم ،مسلم بن الحجاج ،(43/2)

118 -انظر البقاعي ،نظم الدرر ،(338/5)

119- الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،(ص235)

120 -الفخر الرازي ،التفسير الكبير ،(112/12)
وانظر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،معالم التنزيل في التفسير والتأويل ،دار الفكر ،بيروت،1985 ،(251/4)

121 -القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،(79/13)

122 - انظر الطبرسي ،مجمع البيان ،(249/7)

123 -الألوسي ،روح المعاني ،(75/11)
وانظر :الفخر الرازي ،التفسير الكبير ،(114/12)

124 -أخرجه أحمد في المسند ،مسند أحمد،أحمد بن حنبل ،(43/2) وقد صححه العجلوني
أنظر إسماعيل بن محمد العجلوني ،كشف الخفاء ومزيل الألباس ،(552/1)

125 -الآلوسي ،روح المعاني ،(76/11)

126 الراغب الأصفهاني،مفردات ألفاظ القرآن،(272)

127 -أبو حيان ،البحر المحيط ،(132/8)

128 -ابن عاشور، التحرير والتنوير ،(79/19)

129 -الطبرسي ،مجمع البيان ،(250/7)

---

130 -القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،(80/13
وانظر الفخر، التفسير الكبير،(114/12))
131 -عبد الكريم الخطيب ،التفسير القرآني للقرآن ،(60/10)
وانظر الطبرسي ،مجمع البيان ،(249/7)
132 -عبد الكريم الخطيب ،التفسير القرآني ،(61/10)
133 -أبو البقاء الكفوي ،الكليات ،(ص436)
134-أبوحيان ،البحر المحيط ،(132/8)
وانظر ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،(439/3)
وانظر ابن عاشور ،التحرير والتنوير،(80/19)
135 - انظر الآلوسي ،روح المعاني ،(77/11)
136 -الفخر ،التفسير الكبير ،(115/12)
137 - انظر الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،(ص492،ص588)
138 -أبو السعود ،تفسير أبي السعود ،(231/6)
139 -عبد الرحمن حبنكة ،معارج التدبر ودقائق التفكر ،(667/6)
140 -الآلوسي ،روح المعاني ،(79/11)
141 -القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،(82/13)
142-فقرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب وابن عامر وحفص عن عاصم بالألف على الجمع ،وقرأ الباقون بغير ألف على الإفراد.
انظر :محمد بن محمد الدمشقي الجزري ،النشر في القراءات العشر ،(335/2)
143 -أخرجه أبو داوود في كتاب النكاح ،باب النهي عن تزوج من لم يلد من النساء،سليمان بن الأشعث،سنن أبي داوود،دار الفكر بيروت،(220/2) وأخرجه الحاكم في المستدرك (176/2) وقال حديث صحيح
144-عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)،الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق،دار المعارف،القاهرة،ص230
145 - انظر الفخر الرازي ،التفسير الكبير ،(115/12)
146 أخرجه مسلم في كتاب الرضاع ،باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة،مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم،(625/1)
و أخرجه النسائي في كتاب النكاح ،باب المرأة الصالحة،سنن النسائي بشرح السيوطي،جلال الدين السيوطي ،دار الجيل ،بيروت ،(69/6)
147-انظر أبوحيان ،البحر ،(133/8)
148 -ا نظر الزمخشري ،الكشاف ،(102/3)
وانظر الفخر الرازي ،التفسير الكبير ،(116/12)
149 الآلوسي ،روح المعاني ،(78/11)
150 الفخر الرازي، التفسير الكبير،(116/12)
151 -انظر محمد رشيد رضا ،تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)،دار الفكر ،بيروت ،(124/1)
152 - انظر د.فضل حسن عباس ،خماسيات مختارة ،دار البشير عمان 1940،ط1،(ص73)
153-انظر ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،(76/19)
154 -عبد الكريم الخطيب ،التفسير القرآني ،(62/10)
155 -الألوسي روح المعاني ،(87/11)
وانظر محمد بن عبد الرحمن الإيجي ،جامع البيان في تفسير القرآن،دار الكتب العلمية،بيروت 2004م،(168/3)
156 -أبوحيان ،البحر المحيط ،(134/8)
157 - انظر عبد الرحمن حبنكه ،معارج التفكر ودقائق التدبر،(667/6)
158 -ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،(46/30)
[159] -انظر البقاعي ،نظم الدرر،(342/5)
160 -محمد بن الحسين البغوي ،معالم التنزيل في التفسير والتأويل،(251/4)
وانظر عبد الكريم الخطيب،التفسير القرآني للقرآن ،(63/10)
161 -الآلوسي ،روح المعاني ،(79/11)
[162] -قرأ حمزة في الغرفة بإسكان الراء من غير ألف على التوحيد،وقرأ الباقون بضمها مع الألف على الجمع .

انظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (351/2)

163 - أبوحيان، البحر المحيط، (134/8)

164 - انظر : أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (67/4)

165 - الآلوسي، روح المعاني، (79/11)

166 - عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (63/10)

167 - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (335/2)

168 - أبوحيان، البحر، (134/8)

169 عبد الرحمن حبنكه، معارج التفكر ودلائل التدبر، (669/6)

170 انظر : صديق بن حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (59/5)

171 - انظرالآلوسي، روح المعاني، (80/11)

172 أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، (468/2)

173 - انظر الرازي، التفسير الكبير، (117/12)

174 - انظر محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، (372/2)

175 الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ غريب القرآن، (235)

176 - عبد الرحمن حبنكه، معارج التفكر ودقائق التدبر، (669/6)

177 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (83/13)